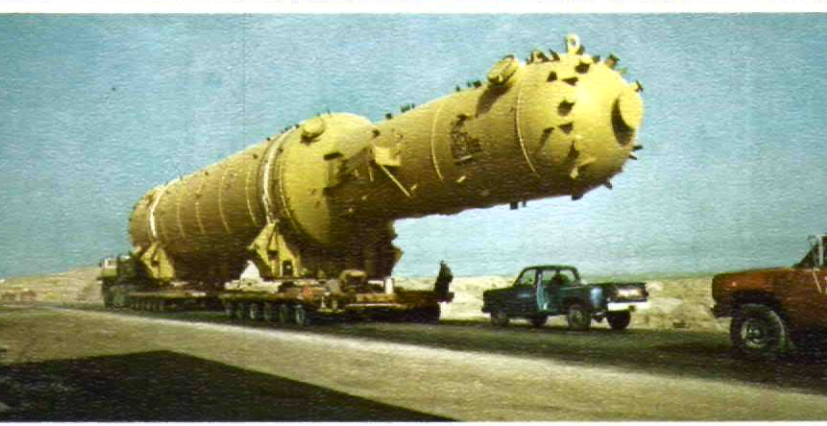
# قافلة الزيت

جمادى الاولى ١٣٩٦ - ابريل/مايو ١٩٧٦

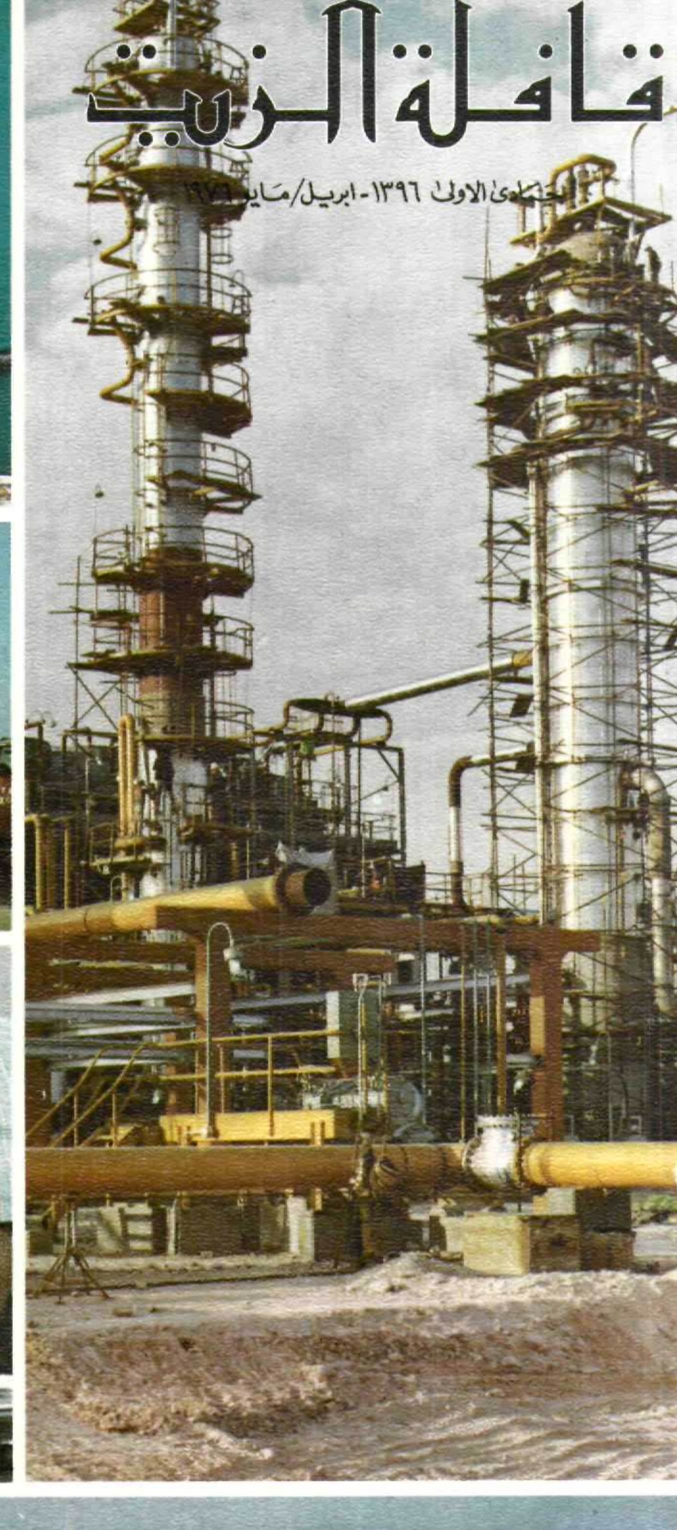




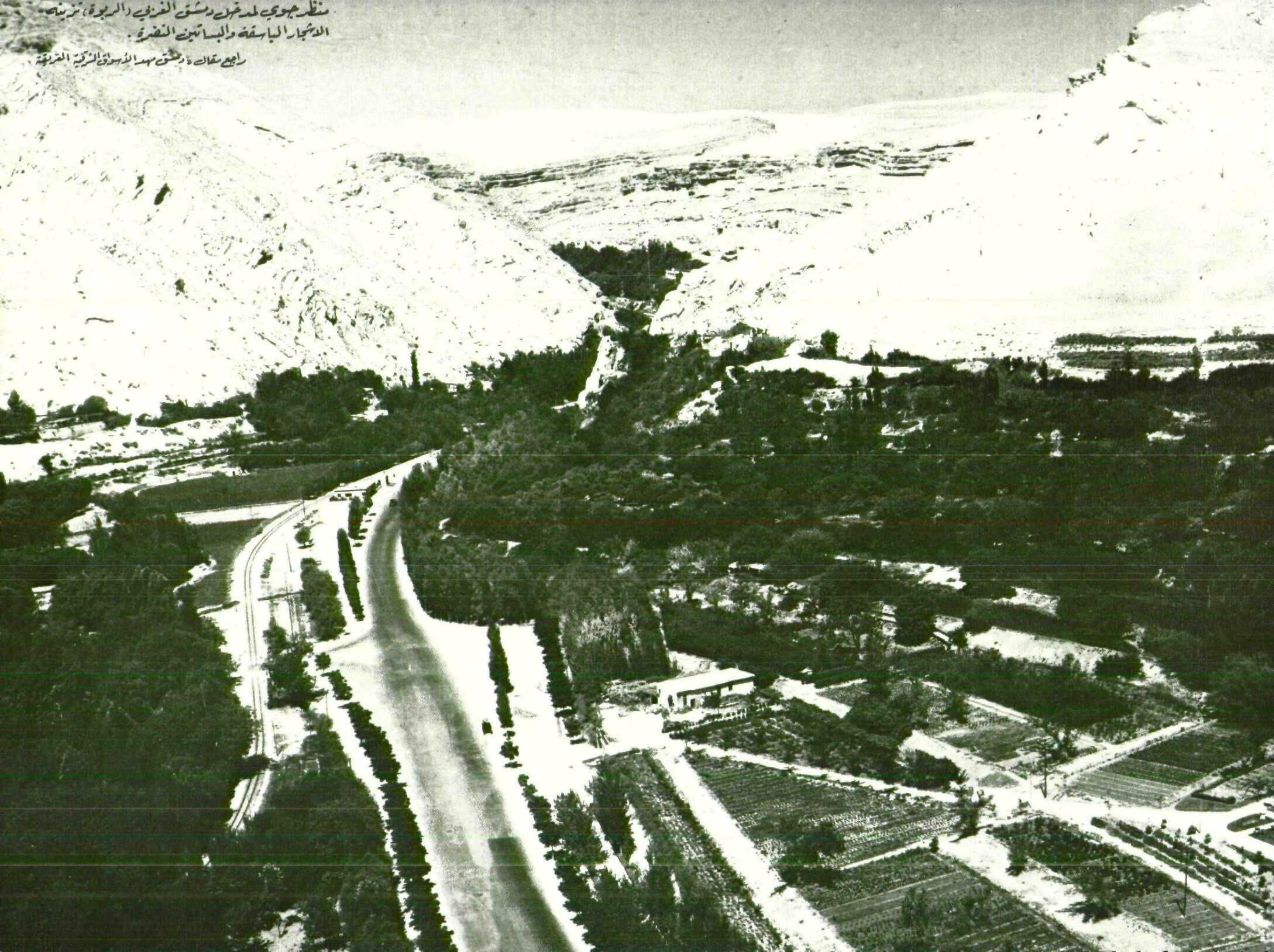












منظر جوي لمدخل دمشق الغربي (الربوة) تزينه الأشجار الباسقة والبساتين النضرة.

راجع مقال «دمشق مهد الأسواق الشرقية العريقة»

بسم الله الرحمن الرحيم

# قافلة الزيت

العدد الخامس المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
"توزع مجانا"
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية

## محتويات العدد



التعليق على صورة الغلاف: لقطات تمثل جانباً من نشاطات أرامكو خلال عام ١٩٧٥

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

# القضاء في

يقول أحمد أمين في كتابه « فجر الاسلام » ويظهر أن مكة ، قبيل الاسلام ، بلغت شيئا من الرقي في نظامها الحكومي ، ومنه القضاء ، كما يدلنا على ذلك ما روي عن توزيع الأعمال على عشرة رجال من قشرة ابطن كالحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة واللواء . وكان من هذه الأعمال شيء يتعلق بالقضاء ، عهد به الى أبي بكر في الجاهلية ، فقد ذكروا أنه عهد اليه بالأشناق ، وهي الديات والمغارم .

وكان هذا وهماً من الأستاذ أحمد أمين في موضوع « الأشناق » الذي تناولناه بشكل موجز في الجزء الأول من كتابنا « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ » . فليس للأشناق صلة بالقضاء من قريب ، ولا من بعيد ، وانما هي مكرمة تحملها بنو تيم عن الناس في الديات والمغارم . ونضيف الى ما جاء في الجزء الأول ما جاء في اللسان : « أشناق الدية : ديات جراحات دون التمام . وقيل : هي زيادة فيها . واشتقاقها من تعليقها بالدية العظمى » . لأن من معاني شنق : علق . فاذا جمعت ما بين ما جاء في الجزء الأول وبين هذا القول ، رأيت ان الأشناق : زيادة في الدية ، من أجل اسكات أهل المجني عليه .

ويقول الألوسي في بلوغ الأرب في موضوع الأشناق : « ومن بني تيم أبو بكر الصديق ، وكانت اليه في الجاهلية الأشناق ، وهي الديات والمغرم ، فكان اذا احتمل شيئاً فسأل عنه قريشاً صدقوه ، وأمضوا حمالة من نهض معه ، وان احتملها غيره خذلوه » .

ومن هذا يتضح أن الأشناق ليست من القضاء في شيء .

## المحاكم

لم يكن في الجاهلية أمكنة خاصة للقضاء ، يفد عليها المتقاضون ، لا في البادية ، ولا في المدن ، ولو وجد شيء من ذلك لأشار اليه الرواة والمؤرخون ، وكتب الأدب .

غير أن جواد علي افترض أن تكون المعابد — وهي مواضع تجمع الكهان وممارستهم أعمالهم — محاكم الجاهليين . وذلك معقول اذا كان المتقاضيان قد ارتضيا الكاهن قاضياً بينهما .

ولقد رأيت أن تميماً قد جمعت بين الموسم والقضاء ، فمن الجائز أيضاً أن يكون لقاضي السوق مكان خاص يقصد اليه المتقاضون . والا لما كان هنالك معنى لتسميته قاضي السوق . وجاء في كتاب « الأغاني » أن عامر بن الظرب كان يجلس قدام بيته . وهو الذي يقول له ذو الاصبع:

**ومنهم حكم يقضي**
**فلا ينقض ما يقضي**

وفي كتاب « المحبر » ان ربيعة بن فحاش، كان يجلس على سرير من خشب ، في قبة من خشب ، فسمي ذا الأعواد .

وفي بعض الأخبار ما يدل على أن شيئاً من التنظيم الجزئي ، وقع بصورة نسبية في مواقيت القضاء . وهو ، وان يكن ليس ذا بال ، وانما يدل على أن قاضياً أشعر الناس بأن له يوماً للقضاء . فقد نقل الألوسي عن مجمع الأمثال : ان غيلان بن سلمة الثقفي كانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه الى جماله .

وفي المحبر عن غيلان أنه : « كان يجلس في أيام الموسم ، فيحكم بين الناس يوماً ، وينشد شعره يوماً ، وينظرون الى وجهه يوماً » .

## قرع العصا [٧]

في كتب الأدب والأمثال والتاريخ ان بعض حكام العرب قد عُمِّر ، وانه على الرغم من ذلك ظل يحكم بين الناس . فلما أصابه الوهن ، ولا سيما في العقل ، وفي أحكامه تنبه الى ما يمكن أن ينتج عن ذلك من مساوىء في



# الجاهلية

بقلم: الأستاذ ظافر القاسمي

الحكم ، أو نبه الى ذلك ، فأمر من يقرع له العصا اذا تنكب طريق الصواب . وأشهر من تظاهرت الأخبار على أنه أول من قرعت له العصا ، هو عامر بن الظرب العدواني . وقد جاء في « مجمع الأمثال » للميداني عند بحثه المثل القائل « ان العصا قرعت لذي الحلم » .

« إن ذا الحلم هذا ، هو عامر بن الظرب العدواني ، وكان من حكماء العرب ، لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً ، فلما طعن في السن ، أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : انه قد كبرت سني ، وعرض لي سهو ، فاذا رأيتموني خرجت من كلامي ، وأخذت في غيره ، فاقرعوا لي المجن بالعصا . . » ثم أضاف :

« قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني ، وربيعة تقول : بل هو قيس بن خالد ذي الجدين . وتميم تقول : بل هو ربيعة بن مخاشن أحد بني اسيد بن عمر بن تميم . واليمن تقول بل هو عمرو بن حممة الدوسي . . وقال المتلمس يريده :

**لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا**

**وما علم الانسان الا ليعلما**

وجاء في كتاب الأغاني : « أن عامر بن الظرب العدواني هو الحكم ، وهو الذي كانت العصا تقرع له وكان قد كبر . فقال له الثاني من ولده : انك ربما أخطأت في الحكم ، فيحمل عنك . قال : اجعلوا لي امارة أعرفها ، فاذا زغت فسمعتها ، رجعت الى الحكم والصواب. فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فاذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع الى الصواب . . » .

غير أن « جواد علي » رأى رأياً آخر في « قرع العصا » جاء فيه :

« والذي أراه أن هذه الأشعار التي أشارت الى قرع العصا — ان صح أنها من نظم أولئك الجاهليين — انما تشير الى عادة كانت عند سادات القبائل والملوك والحكام : من حمل الصولجان ، والعصي ، دلالة على الحكم والسيادة. فالعصي تشير الى الحكم والتأديب ، وكان الحكام يحملونها ، أو يحملها مساعدوهم عند قيامهم بالحكم بين الناس ، اشارة الى سلطة الحاكم ، فكان الحاكم اذا أراد اصدار حكمه ، أو ردع من يتطاول بالكلام في حضرة الحاكم ، أو يحدث ضوضاء وجلبة أثناء المحاكمة ، يقرع بعصاه الأرض ، أو أي شيء آخر ، أو يأمر تابعه بقرع العصا كما يفعل حكام هذا اليوم إذ يقرعون كرسي القضاء بمقرعة حين يريدون تنبيه الحضار الى أمر مهم ، أو اسكات المتكلمين المتطاولين ، أو من يعبث بنظام المحكمة ، فينبه الى مخالفته هذه بقرع المقرعة ، كما كان يفعل حكام الجاهلية ، من قرعهم الأرض ، أو أي شيء آخر بالعصا » .

وهذا رأي أرى فيه كثيراً من المبالغة ، أو التصور ، لأنه لا سند له من التاريخ . وليس في وسعنا أن نرد الأخبار لتوهمنا أنها مصنوعة . فقد قال « جواد علي » في التعليق على قصة عامر ابن الظرب : « وهو تفسير مقبول عند أهل الأخبار ، معقول في نظرهم ، لكنه في الواقع من هذه التفسيرات المألوفة التي يكثر ورودها عن أهل الأخبار ، حين يسألهم سائل عن اسم قديم ، أو خبر قديم ، فيصنعون له هذه المصنوعات » وهل المؤرخون والباحثون في كل عصر الا من أهل الأخبار ، واذا لم يعتمد المؤرخون والباحثون على أهل الأخبار ، فعلى من يعتمدون ؟

إن الصورة التي رسمها « جواد علي » للقضاء في الجاهلية ، تخالف ما أكده هو نفسه في مواضع متعددة من كتابه ، من غلبة الفطرة والسليقة ، وحياة البداوة . ولو أن في الأخبار ما يشير الى « قرع العصا » على النحو الذي أراده ، ولو من بعيد ، لكان هنالك مجال لقبول الرأيين ، والموازنة بينهما ، على أن لا نجزم بان رأي أهل الأخبار هو من المصنوعات ، ولكن

الواقع هو أن حمل العصا قد يشير الى الرئاسة ، كما يشير الى الصعلكة ، لأن الرعاة من حملة العصا .

## العقود

ومما يتصل بموضوع القضاء في الجاهلية ، العقود والعهود التي كانوا يكتبونها فيما بينهم . ولست أشك في أن بعض المواثيق والأحلاف المهمة قد سجل . ويدل على ذلك : الصحيفة التي كتبتها قريش يوم قررت مقاطعة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وبني هاشم مالياً واقتصادياً واجتماعياً ، وعلقوها في جوف الكعبة ، فقيل ان الأرضة أكلتها .

ولكن التوسع في ذلك ، والذهاب الى أن الصحف « التي كانوا يسجلون عليها حساباتهم ، وتجاراتهم ، وما كان لهم من ديون ورهون ، وأمثال ذلك من معاملات » ، وأنها « عرفت بالصكوك والكتب » وأنهم « اذا اختلفوا على شيء رجعوا الى ما هو مكتوب ، فحكموا به ان هـذا التوسـع فيه نظر . ولم يكن « جواد علي » وحده في هذا الموضوع ، وانما سبقه الأب لامانس اليسوعي ، فزعم أنه كان لقريش في مكة قبيل الاسلام « مجلس بلدي » وانه كان له قرارات ، وان هذه القرارات كانت تحفظ فيما يسمونه اليوم « الارشيف » . وزعم أيضاً أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، نشأ في بطاح مكة ، حيث كانت مصارف المرابين ، وكانت لهم دفاتر وسجلات ، وكان لهم كُوى يستقبلون أمامها المدينين . . الى آخر هذا اللغو ، الذي أراد منه أن يحمل ما جاء في القرآن الكريم عن يوم القيامة بأنه « يوم الحساب » على أنه أثر من آثار رؤية أعمال هؤلاء المرابين وحساباتهم .

والرد على هذه المزاعم هين ذلك بأن المسلمين لم يقدسوا شيئاً تقديسهم للقرآن الكريم فلما أرادوا كتابته ، كتبوه على :

– اللخاف : جمع لِخفة ، وهي الحجارة الدقاق ، أو صفائح الحجارة .

– والعسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

– والاكتاف : جمع كتف ، وهو عظم البعير أو الشاة ، يكتبون عليه بعـد أن يجف .

– والاقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

– وقطع الأديم : أي الجلد .

وكان الورق أو الكاغد أقل هذه الأدوات وجوداً .

فاذا كان القرآن الكريم ، وهو أقدس ما قدس المسلمون والعرب ، قد كتب على هذه الأدوات البدائية لندرة الورق ، أفيمكن بعد هذا أن تكون عقود القوم العادية من ديون ورهون ، كما ذهب « جواد علي » ، أو حسابات المرابين ، قد كتبت في سجلات ؟! ومن أين يجدون لها الورق ؟

## الرشوة

ليس في المصادر حوادث كثيرة عن الرشوة في الجاهلية ، وقد تغني الحادثة الواحدة عن الكثير ، للدلالة على وجود الشيء أو عدمه . ولم أعثر إلا على اشارة واحدة ساقها الميداني في مجمع الأمثال ، في معرض شرحه للمثل الذي أوردناه سابقاً : « ان العصا تقرع لذى الحلم » بصدد القول القائل بأن هذا المثل قيل لضمرة بن ضمرة . قال :

« غير أن ضمرة حكم ، فأخذ رشوة ، فغدر » .

وتسمية الحكم المبني على الرشوة « غدراً » فيه صورة رائعة لخيانة الثقة التي وضعها المتقاضون في شخص الحاكم بينهم ، لأن المغدور لا يمكن أن يتقي الغدر .

## أحكام في الجاهلية

لم يصل الينا إلا القليل من الأحكام التي صدرت عن بعض القضاة في الجاهلية في الأموال والدماء . وهي مبعثرة هنا وهناك ، في كتب الأدب والتاريخ وسنورد بعض ما عثرنا عليه منها في هذا الفصل :

فمن ذلك ما مر معك من أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قضى في الجاهلية بأن يفتدى العربي الحر بعبدين ، وان تفتدى العربية الحرة بأمتين .

ومنها أن يعمر بن عوف سمي « الشداخ » قال ابن حبيب : « وانما سمي شداخاً لشدخه الدماء بين قريش وخزاعة . وكانت قريش قاتلت خزاعة ، وأرادوا اخراج خزاعة من مكة . فتراضى الفريقان بيعمر . فحكم بينهم وباوأ بين الدماء ، وعلى ألا تخرج خزاعة من مكة » .

أما ابن هشام فقد نقل رواية أخرى حول هذا الموضوع ، جاء فيها حول موضوع الحكم :

« ثم انهم – قريش وخزاعة – تداعوا الى الصلح ، والى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب، فحكموا يعمر بن عوف ، فقضى بينهم :

- «بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة.
- « وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع ، يشدخه تحت قدميه ،
- « وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة .
- « وأن يخلّى بين قصي وبين الكعبة ومكة .
- « فسمي يعمر بن عوف يومئذ : الشداخ ، لما شدخ من الدماء ووضع منها » .

ومنها ما نقله ابن حبيب أيضاً :

« كانت العرب مصفقة على توريث البنين دون البنات . فورث ذو المجاسد – وهو عامر بن جشم – ماله لولده في الجاهلية : للذكر مثل حظ الأنثيين – فوافق حكم الاسلام » .

**ظافر القاسمي – بيروت**

# اللهيب البارد

للشاعر: طاهر زمخشري

أرقُّ من النسيم على الأثيرِ     صدى صوتٍ يغرِّدُ كالطيّور

معطَّرَةٌ مخارجُهُ بأحْلى     وأنْدى من شذا الوردِ النّضير

تغلفهُ البشاشةُ في ابتسامٍ     وتنثُره المفاتنُ كالزُّهور

وأسرى عبر سمعِيَ للحنايا     ليطفِىء بالنَّدى ظمأَ السُّعور

وفي ألفاظِه تشْدو الحُزامى     بأنفاسٍ مغرّدةِ العبَير

ويحملُه الضِّياءُ به تهادى     لينثره على أفوافِ نور

وقد راحَ الربيعُ به يغنِّي     ويُعطي الحبَّ بالبَرَد المثير

فما للوَردِ من معنىً اذا ما     تلطَّف واستفاضَ من السرور

* * *

وقالوا : فتنةٌ نطقتْ فجادتْ     بأصفى من سنا القَمرِ المنير

أَراها بالسَّماع .. ولا أَراها     سوى صفوٍ ترَقرَق من نمير

بأنغامٍ يرجّعُها وجيبٌ     معازفُه من الدُّرِ النثير

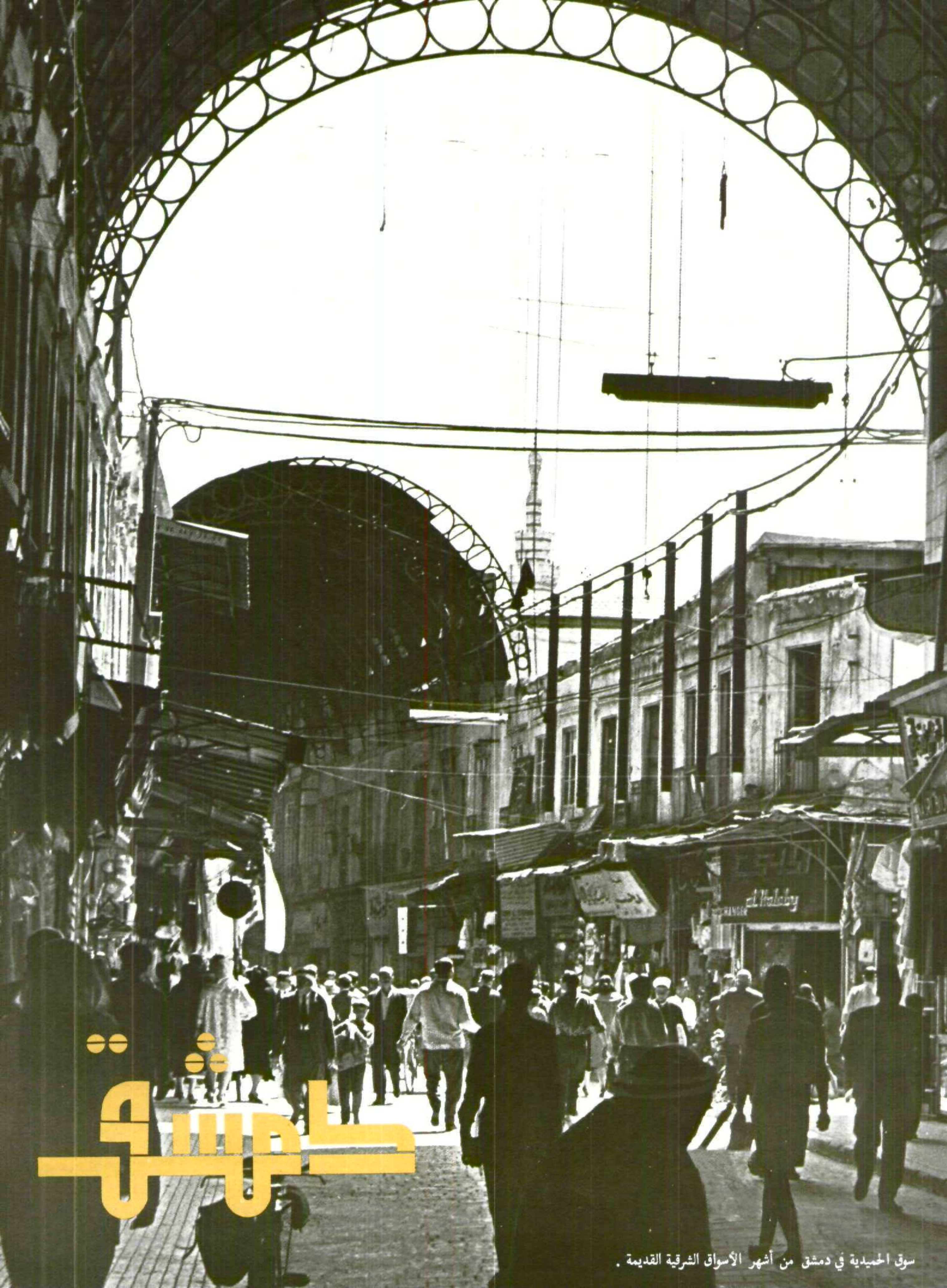
وفي سمعي لهُ وقْعُ حبيب     هفا لجمالِ روعَتهِ ضميري

وتسكبُه اللطافةُ في حنايا     تُحس لبرده لَهَبُ السَّعير

وأحْيا فيه من لهَفي بنارٍ     توَجّج في الضّلوعِ .. فمَنْ مُجيري ؟!

طاهر زمخشري – جدة






سوق الحميدية في دمشق من أشهر الأسواق الشرقية القديمة .

في أرض مستوية تحيط بها الجبال الشامخة تقوم أقدم مدينة في العالم . تلك هي دمشق عاصمة الأمويين ومهد الحضارة الاسلامية في أزهى عصورها . كل ما في دمشق يوحي بعراقتها . شهدت عبر تاريخها الطويل حضارات زاهرة لأمم عديدة : العموريين والآراميين والحثيين والبابليين والاشوريين والفينيقيين والميديين واليونان والرومان والفرس والعرب . اختلط فيها القديم بالحديث ، القديم يروي مجدها الغابر والحديث يشهد رقيها الحاضر . شرفها الله تعالى بالذكر في كتابه المبين فقال (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

## مهد الأسواق الشرقية العريقة والصناعات اليدوية الراقية

تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن دمشق هي أول مدينة بنيت في العالم بعد طوفان نوح عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . وقد روي عن كعب الأحبار : أن أول حائط وضع في الأرض بعد الطوفان هو حائط دمشق . وقيل ان هودا ، عليه السلام ، نزل دمشق وأسس الحائط الذي في قبلي جامعها . وقد اختلفت الروايات في من بناها . قال أبو عبيد البكري في كتابه « المعجم مما استعجم » : « دمشق معروفة سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان ، فانه هو الذي كان بناها وكان آمن بابراهيم ، عليه السلام ، وصار معه ، وكان أبوه النمرود دفعه اليه لما رأى الآيات . وقيل ان الذي بنى دمشق وسميت باسمه هو جيرون بن سعد بن عاد بن سام بن نوح وسماها ارم ذات العماد . وقال أبو دهبل الشاعر مؤكداً ذلك الاسم :

**طال ليلي وبت كالمحـــزون**
**ومللت الثواء في جــــيرون**

وروى الحافظ بن عساكر أن الذي بنى دمشق بناها على الكواكب السبعة وصور على كل باب أحد الكواكب ، فباب كيسان لزحل ، وباب شرقي للشمس ، وباب توما للزهرة ، وباب الصغير للمشتري ، وباب الجابية للمريخ ، وباب الفراديس لعطارد ، وباب الفراديس الآخر للقمر . وقد اندثرت الصور كلها التي كانت على الأبواب الا باب كيسان فان صورة زحل باقية عليه إلى الآن .

روى ابن عساكر باسناده عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، تلا هذه الآية : **( وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين )** قال : هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام . وفي الأخبار أن ابراهيم ، عليه السلام ، ولد في غوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل قاسيون . ويقول لك الدليل ان من بين المواضع الشريفة بدمشق : مغارة الدم في جبل قاسيون ، ويقال انها كانت مأوى الأنبياء ومصلاهم ، والمغارة التي في جبل النيرب يقال انها كانت مأوى عيسى ، عليه السلام ، ومسجدا ابراهيم ، عليه السلام ، اذ يقع احدهما في الأشعريين والآخر في برزة ، ومسجد باب الشرقي الذي قال النبي ( صلعم ) ان عيسى ، عليه السلام ، ينزل فيه ، والمسجد الصغير الذي خلف جيرون يقال ان يحيى ابن زكريا ، عليه السلام ، قتل هناك ، والحائط القبلي من الجامع يقال انه بناه هود عليه السلام .

### تعددت الأسماء والمدينة واحدة

كما تعددت الروايات حول بناء دمشق كذلك تعددت أسماؤها فمن قائل ان اسمها مشتق من الفعل الرباعي « دَمْشَقَ » بمعنى أسرع ، والصفة منه دمشق يستوي فيها المذكر والمؤنث ، فيقال ناقة دمشق : أي سريعة ، وجاء في معجم البلدان لياقوت قول الزفيان :

**ومنهل طام عليه الغفلـــق**
**ينير أو يسدي بــــه الخورنــق**
**وردته والليل داج أبلـــــق**
**وصاحبي ذات هبــاب دمشق**
**كأنمـــا بعد الكلال زورق**

ويعتقد البعض أن « دمشق » اسم آرامي بمعنى المثمرة اشارة إلى غوطتها الفسيحة . أما الفرس فقد أطلقوا عليها اسم « جلّق » بمعنى الحديقة . وفي ذلك يقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

**قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا**
**مشت على الرسم أحداث وأزمان**

ويقال ان هذا الاسم يوناني بمعنى العذراء نسبة إلى كنيسة العذراء فيها . وللرومان نصيب في التسمية اذ ورد على لسان احد حكمائهم قوله : ان أصل اسمها «دوو مسكس» أي مسك مضاعف لطيبها ، لأن « دوو » للتضعيف ، و« مسكس » هو المسك ، ثم عربت فقيل دمشق . واطلق عليها العرب الأقدمون الذين كانوا يفدون عليها للتجارة اسم « الفيحاء » لأنها كانت تبهرهم بمياهها واشجارها وبساتينها الواسعة كما أسموها « الغناء » وذلك لالتفاف أشجارها وتشابك أغصانها .

### معين لا ينضب من الجمال

وصفها ابن شداد في القرن الثالث عشر الميلادي بقوله : « انها احسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها هواء ، وأطيبها نشرا ، وأكثرها مياها ، وأغزرها فواكه . ولها ناحية تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة . وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وعلى خمسمائة وخمسين كرماً ، وهي من شرقي دمشق وشماليها ، بها ضياع كالمدن مثل المزة ، وداريّا ، وحرستا ، ودمر ، وبلاس ، وبيت لاها ، وعقربا وبها

جانب من المسجد الأموي في دمشق .

كلها جوامع . ومن الجانب الغربي من دمشق : وادي البنفسج ، ويعرف الآن بوادي الشقراء طوله اثنا عشر ميلاً وعرضه ثلاثة أميال ، تشقه خمسة أنهار . وللمدينة سبعة أنهار كلها تتفرع من عين تعرف بالفيجة » .

**دمشق** هي أنشودة حلوة على فم الزمان ، الجمال في خمائلها وغيطانها وحدائقها ، والفتنة في ورودها وشقائقها ورياحينها ، والأنغام الشجية تنبعث من هدير شلالاتها وانسياب جداولها وهمس حورها وصفصافها . أما نهر بردى بجداوله السبعة فانه يشنف الآذان بأعذب الألحان . جبل قاسيون المطل على دمشق من الشمال والغرب يدعوك قبيل الغروب لتشاهد مآذنها التاريخية ومساجدها الأثرية وقبابها وقصورها وقد راحت ذكاء تسحب ذيولها مخلفة وراءها وشاحاً ذهبياً . ودمشق هي ملهمة الشعراء ووحي الأدباء ، لم ينعم برؤيتها شاعر الا وأسبغ عليها فيضاً من قريحته ، فهذا أمير الشعراء شوقي وقد أخذ بمفاتنها ، أوحت اليه دمشق بأروع خريدة ، فهو يقول :

آمنت بالله واستثنيت جنته
دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها
الأرض دار لها الفيحاء بستان
جرى وصفق يلقانا بها بردى
كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة
والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في دمر أو حول هامتها
حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة
الساق كاسية والنحر عريان
والطير يصدح من خلف العيون بها
وللعيون كما للطير ألحان

وقد أجاد وصفها الشيخ مهذب الدين الموصلي حين قال :

سقى دمشق وأياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها



تشتهر دمشق بصنع الحلويات والسكاكر التي يتأنق الشامي بعرضها .

كأن أنهارها ماضي ظبى حشيت
خناجرا من لجين في حواشيها
ترنو اليك بعين النور ضاحكـــة
اذ بات عين من الوسمي تبكيها
وصفق النهر والأغصان راقصـــة
فنقطتّه بـــدر مـــن تراقيهـــا
وأعين الماء قد أجـرت سواقيها
والأعين النجل قد جارت سواقيها

يضيق بنا المقام أن نورد أمثلة أخرى ، ويكفي القول أن دمشق ، منذ الفتح الاسلامي حتى يومنا هذا ، قد خصت بنصيب كبير من الشعر والنثر يندر أن تكون قد خصت به مدينة عربية أخرى . تغنى بها الشعراء ووصفها الأدباء على مر العصور والأجيال ، وهي لا تنفك تتحف كل وافد بجديد . فهناك دمر والهامة وعين الخضراء والربوة وهي مصايف ومتنزهات جميلة هادئة ، تخترقها الأنهار ، وتتدفق من صخورها الشلالات والينابيع ، وتحتضنها الخضرة من كل جانب . وهناك الغوطة التي وصفت بأنها



البراعة والدقة والذوق الفني الرفيع تتجلى في زخرفة الأواني النحاسية .

احدى عجائب الدنيا ، تمتد إلى مسافة ٢٧ كيلومتراً في إطار دائري رائع يحيط بمدينة دمشق ، وهي أغنى بقاع العالم بأشجار الفاكهة كالتفاح ، والمشمش ، والكمثرى ، والخوخ ، والتين ، والعنب ، والرمان ، واللوز ، والجوز ، والكرز ، بالاضافة إلى غابات من شجر الزيتون .

## ثروة أثرية ضخمة

ان أكثر ما تزهو به سوريا هو المخلفات الأثرية والتاريخية التي يشاهدها المرء في كل مكان ، في المدن والقرى وعلى الجبال والسواحل وفي الأودية والصحراء ، وتتمثل هذه الآثار في العديد من الأعمدة والأسوار والأقواس والقلاع والمسارح والمساجد والقصور والمعابد والمداخن والكتابات ، وغير ذلك مما خلفته الشعوب والأجناس والمدنيات التي عاشت فيها أو مرت بها طوال خمسين قرناً بحكم موقعها الجغرافي الفريد . ولهذا السبب ، تميزت الآثار السورية بالكثرة والتنوع . ومن هنا كانت المخلفات

مشهد لبيت ريفي في متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم بدمشق .



مجموعة من الدلال النحاسية تحليها النقوش والزخارف الدقيقة ، ويقبل السياح على شرائها والاحتفاظ بها كتحف فنية .

الأثرية في سورية مقصداً للسواح والزوار يلتمسون فيها إلى جانب الدراسة العلمية التذوق الفني الخالص .

ودمشق تجمع عدداً من المعالم التاريخية كالمساجد والقصور والمتاحف والأسواق ، الجديرة بالمشاهدة والتأمل .

## الجامع الأموي

فتح المسلمون دمشق في رجب من عام ١٤هـ (سبتمبر ٦٣٥م) ، إبان خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، بقيادة البطل خالد ابن الوليد بعد حصار دام ستة أشهر ، ففتحت سوريا قلبها وصدرها وكيانها كله للرسالة العربية المتمثلة في الاسلام يوم فاض النور الباهر من رمال الصحراء الخالدة إلى أقاصي الأرض هدى وعدلاً ورحمة . ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ رأى أن يبني مسجداً يليق بعظمة حاضرته دمشق وقد يسر له ذلك تسلمه دولة هادئة وخزانة مفعمة بالأموال . تأنق الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في بناء هذا المسجد عام ٨٧هـ (٧٠٦م) وأدخل عليه أجمل فنون الزينة والزخارف وحشد له المهندسين وأمهر الفنيين من العرب والروم والفرس . ويذكر المؤرخون أن أكثر من (١٢) الفاً من العمال المختصين قد عملوا فيه وأن العمل استمر عشر سنوات وانفق عليه (١١) مليون دينار . فلا غرو اذن ان يجيء تحفة فنية رائعة تمثل أبدع ما انتهت اليه عبقرية الفن المعماري العربي . فقد زينت جدرانه بمشاهد بديعة من الفسيفساء الزجاجية الملونة ، صنعت من مكعبات صغيرة ملونة ومذهبة ، ومن قطع من الصدف منسقة على أشكال تمثل مناظر طبيعية مختلفة وزخارف نباتية وصوراً رمزية لبعض أبنية دمشق في عصر الأمويين .

وللجامع مدخلان رئيسيان أحدهما باب جيرون من الشرق والآخر باب البريد من الغرب ويفضيان إلى ساحة كبيرة على ثلاث من جنباتها أروقة قائمة على أعمدة . وللمسجد ثلاث مآذن، اثنتان منها في جناحي القبلة الشرقي والغربي والثالثة وتدعى «العروس» تتوسط حائط المسجد الشمالي . أما المحراب الذي يعتبر من روائع فن الزخرفة الشرقي فيقع في وسط المسجد تحت القبة المعروفة بقبة النسر .

ولم يدخر الوليد مالاً الا وقدمه ليجيء الجامع نموذجاً بديعاً لفن بناء المساجد الاسلامية . ويروي موسى بن حماد البربري هذه القصة : «رأيت في مسجد دمشق كتابة بالذهب في الزجاج محفوراً سورة : «ألهَكم التكاثر» إلى آخرها ورأيت جوهرة حمراء ملصقة في القاف التي في قوله تعالى : «حتى زرتم المقابر» ، فسألت عن ذلك . فقيل لي انه كانت للوليد بنت وكانت هذه الجوهرة لها فماتت ، فأمرت أمها أن تدفن هذه الجوهرة معها في قبرها ، فأمر الوليد بالجوهرة فصيرت في قاف المقابر من : «ألهَكم التكاثر حتى زرتم المقابر» ثم حلف لأمها انه قد أودعها المقابر فسكتت .

تعرض المسجد لحرائق متعاقبة أذهبت منه بعض جماله وتنسيقه ، ومع هذا فانه لا يزال أعظم أثر تاريخي في دمشق . وعلى قيد خطوات من الجامع الأموي يقع بناء أثري جميل يضم ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي ، بطل الحروب الصليبية .



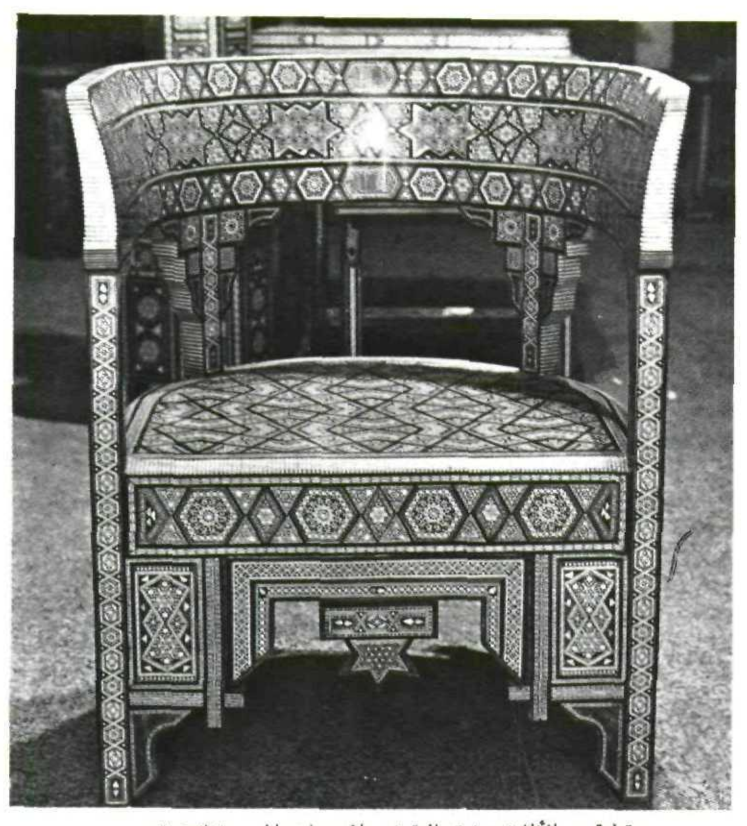
صناعة الكراسي الخشبية من الحرف اليدوية المألوفة في دمشق .

## قصر العظم

بين أحياء دمشق القديمة قريباً من المسجد الأموي يقبع أثر خالد بناه أسعد باشا العظم والي دمشق عام ١٧٥٠م ، وهو على غاية من الجمال والروعة . وقد حرص الوالي ان يجعل منه تحفة للنظار ومرآة تعكس فن العمارة البديع والتصميم العجيب فجلب اليه أمهر البنائين والصناع في زمانه . له حديقة مسورة بجدران من الرخام المجزع تذكرك بحدائق غرناطة ، في وسطها بركة تتناثر حولها أشجار الليمون والبرتقال وأحواض الزهور النادرة تحيط بها المصاطب والأقواس التي تغطيها نباتات متسلقة ارجوانية . ويتألف القصر من ثلاثة أقسام : قسم الحرملك «بيت السيدات» ، وقسم السلاملك «قسم الضيوف» ، وقسم الخدم والمخازن . أما قاعة الاستقبال فجدرانها مزينة بالمرمر والفسيفساء الملون وسقفها مطلي بالذهب ومزخرف بالنقوش الهندسية البديعة ، وفي وسطها نافورة محاطة بالأصص .



منارتا التكية السليمانية ويرجع عهدها الى السلطان سليم الاول العثماني .



قطعة من الأثاث محلاة بالنقوش والمنمنمات الهندسية الدقيقة .



احد شوارع دمشق الحديثة وقد بدا في اقصى الصورة جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق

وقد حولت الحكومة السورية هذا القصر إلى متحف للتقاليد الشعبية ، والألبسة الشرقية ، والصناعات الوطنية . فوضعت فيه متحفاً للشمع تمثل معروضاته عادات السوريين وتقاليدهم وأزياءهم وما يصنعونه أصدق تمثيل .

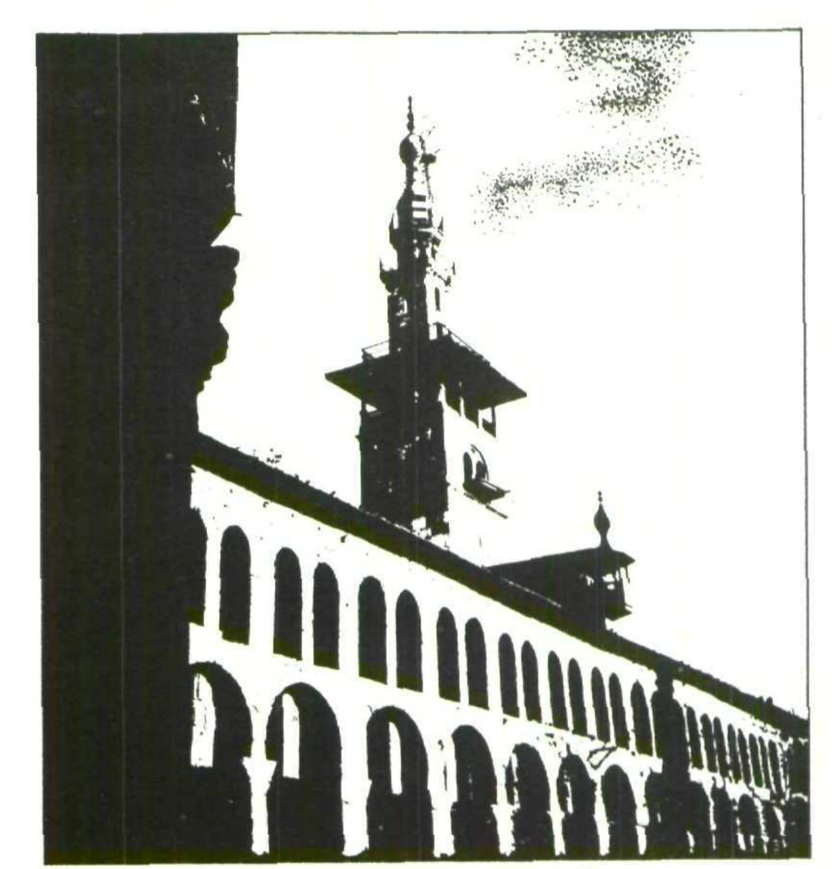
وهناك غرف ترى فيها نماذج للصناعات اليدوية التقليدية : تطعيم الخشب بالاصداف والعاج والفضة ، والأواني الزجاجية المزخرفة والنحاسية ، والجلود المطبوعة ، والفسيفساء ، وصناعة الفخار والخزف وأطباق القش والسجاد وصياغة الحلي الذهبية والفضية . ثم صناعة المنسوجات وأهمها البروكار وهو نسيج حريري يعتمد على الأنوال اليدوية والحرير الطبيعي ، وله شهرة عالمية وتختلف ألوانه ورسومه باختلاف الأذواق . ومنه ما هو مقصب او مطعم بخيوط من الذهب والفضة .

## متحف دمشق الوطني

يعتبر من أكبر المتاحف الحديثة تنسيقاً ومن أغناها بالمحتويات وهو يضم آثار الحضارات الكثيرة التي مرت بسوريا وينقسم إلى أربعة أجنحة متميزة ، خصص الأول لآثار سورية القديمة ، والثاني يضم آثار العصور اليونانية والرومانية . والثالث يحتوي على الآثار العربية والاسلامية ، وخصص الرابع للفنون الحديثة . ومما يسترعي انتباه الزائر في الحجرة الفينيقية ألواح رأس شمرا التي اكتشفت في تل العمارنة وقد خط على أحدها الأبجدية الكنعانية وهي أقدم أبجدية عرفها العالم .

## الأسواق الشرقية العريقة

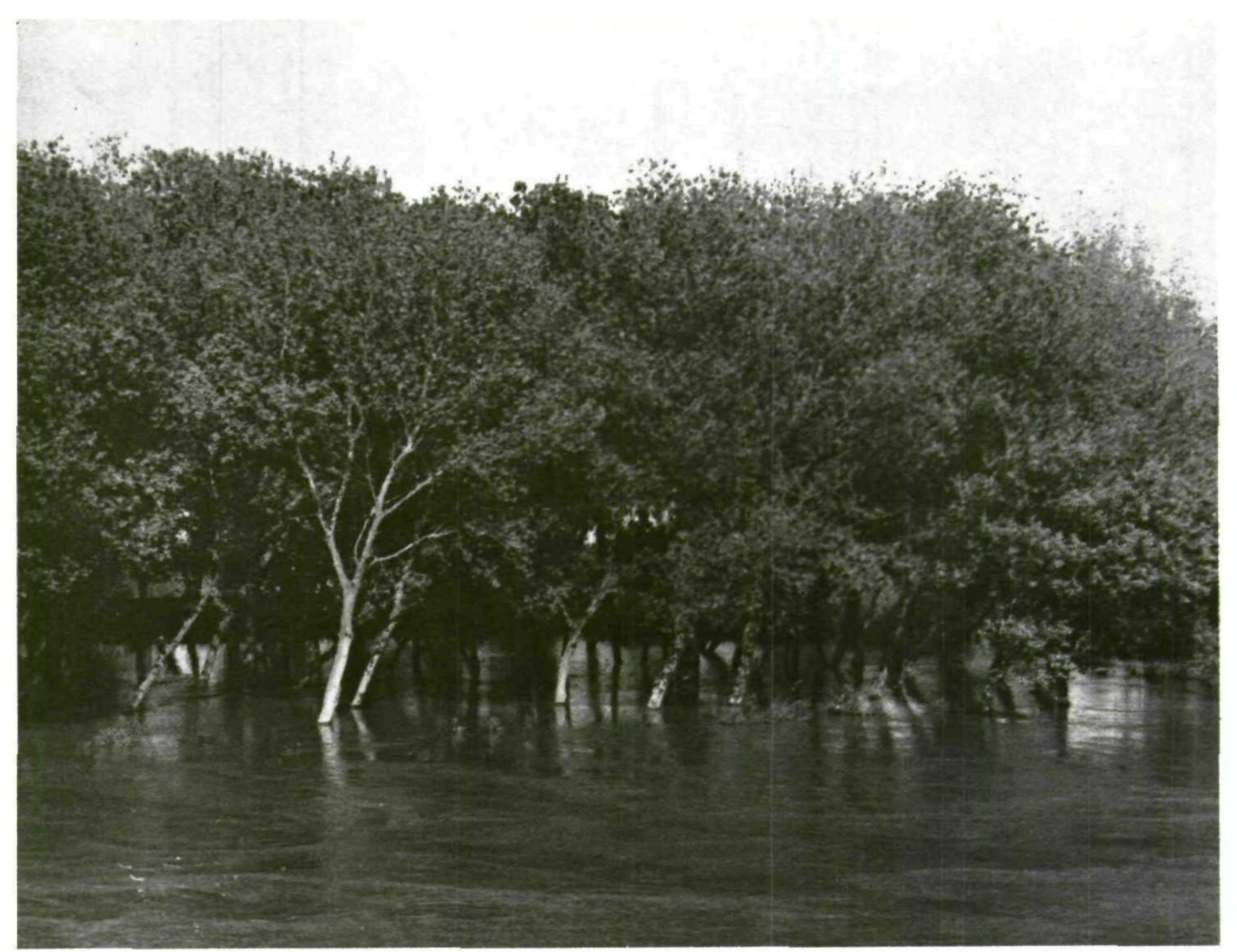
من يزور دمشق لا بد له من مشاهدة سوق الحميدية التي تؤلف أحد عناصر شهرتها وهي سوق مسقوفة تقع على موازاة الشارع المستقيم الذي يمتد من باب الجابية إلى الباب الشرقي . وقد انشئت سوق الحميدية منذ اكثر من ٨٠ عاماً في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وسميت باسمه . لقد كانت سوق « الحميدية » سوقاً واحدة ولكنها أصبحت الآن تشغل حياً بأكمله يؤلف أسواقاً متخصصة عديدة تمتاز بأناقتها ونظافتها وبطابعها الفريد الذي يجمع بين عراقة الشرق وحضارة الغرب الحديثة . والزائر يجد نفسه مسوقاً لشراء الكثير من السلع لما يلاقيه من صنوف الاغراء . والمعروف عن أهل دمشق أنهم برعوا في التجارة منذ أقدم



احدى مآذن الجامع الاموي كما تبدو من باحة المسجد



طبق القش من الصناعات اليدوية التقليدية في دمشق



دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان

الأزمنة ، وتوارثوا هذه البراعة جيلاً بعد جيل . انك تعجب حينما ترى أن مائة دكان في سوق واحدة تبيع صنفاً واحداً بأسعار متقاربة ومع هذا فانها تعيش رغم ذلك التنافس الخفي . وهذه الأسواق المختلفة تعج بخليط من الناس . انك في لحظات تستطيع أن تشاهد « كرنفال » أزياء ووجوه : الشامي بسرواله الفضفاض وحذائه الأحمر وعمامته البيضاء ، أحد أهالي الريف بملابسه التقليدية ، بدوي وقد ارتدى عباءة وستر رأسه بكوفية وعقال ، سائحة تبحث عن القديم في المتاجر الصغيرة الأنيقة . وترى فوق ذلك كله باعة الشراب والحلوى والفواكه يطوفون بسلعهم وهم ينادون معلنين عنها بعبارات جذابة .

انك تجد في هذه الأسواق كل ما تنشده ، ففي سوق البهارات التي تنبعث منها روائح الشرق الزكية تجد الهيل وكبش القرنفل والمريمية والصعتر والسماق والكرى والشبث وحصى اللبان بالاضافة إلى الفلفل بأنواعه . وفي سوق الأقمشة ، وقد بدت معروضاتها وكأنها قوس قزح بألوانها الجميلة الجذابة ، تجد الحرير الطبيعي والبروكار والدمقس والشاش الغزى والشال الكشميري . وفي سوق المصنوعات الجلدية تجد حقائب اليد المزركشة بقماش البروكار ، والسيور والأحذية .

وفي سوق الحبوب تجد الفول السوداني ، والفستق والبندق والجوز واللوز والصنوبر وغيرها من اصناف المكسرات العديدة المتنوعة . ومن الأسواق المشهورة سوق الذهب حيث تجد الحلي الذهبية كالأساور والعقود والاقراط والخواتم تزين واجهات المتاجر .

ويضيق بنا المقام ان نعدد تلك الأسواق وما فيها ، ويكفي القول ان سوق الحميدية بشهرتها تمثل صورة الشرق بتراثه الأصيل ●

سليمان نصر الله — هيئة التحرير

# جهود العرب في الدراسات الصوتية

بقلم: الدكتور كمال بشر

للعرب قدم ثابتة وجهود رائعة في البحث اللغوي بصفة عامة ، وفي دراسة أصوات اللغة بصفة خاصة . وكانوا يسعون في ذلك وراء هدف سام نبيل هو المحافظة على كتاب الله وصيانته من اللحن والتحريف ، وذلك بطريق الاهتمام بلغتهم والوصول بها إلى أرقى درجة من الجودة والبلاغة .

لذلك لم يكن شاذاً أو غريباً أن يلقوا الينا بهذا التراث الضخم في علوم اللغة وفروعها المختلفة وأن يتركوا لنا هذه الثروة الهائلة من التفكير اللغوي الناضج الذي لم تزل بعض جوانبه ومناحيه تضارع بل تفوق ما يقابلها من وجوه النظر في الدرس اللغوي الحديث .

وهناك في مجال أصوات اللغة بالذات نلمس روعة ما أتى به هؤلاء القوم ودقة ما توصلوا اليه من نتائج وحقائق علمية . وانه لمن الصعب علينا في هذا المقام أن نعرض لتفاصيل ما أتى به علماء العربية في هذا الشأن ، ولسوف نقنع بتوجيه النظر نحو هذا الحقل الدراسي بإلقاء شيء من الضوء على بعض الخطوط العريضة التي تحدد أعمالهم وتميز اتجاهاتهم وخواصها الأساسية .

أما هذه الخطوط والنقاط الرئيسية فهي : الأصالة والسبق التاريخي ، والمنهج وطريقة البحث ، ثم نماذج من الحقائق الصوتية التي خرجوا بها إلى الناس في هذا الوقت السحيق من الزمن .

## الأصالة والسبق التاريخي

دراسة العرب لأصوات لغتهم دراسة أصيلة ليست منقولة في منهجها عن غيرهم من الأمم . والقول بأنها ترجع إلى أعمال اليونان أو الهنود في دراساتهم الصوتية قول يجانفه الحق والصواب . ان تأكيد الأصالة للعرب في منهج البحث الصوتي أمر ميسور إذا دققنا النظر فيما أتى به هؤلاء وأولئك من حقائق .

لقد نهج العرب في دراسة أصواتهم على أساس نطقي فسيولوجي — Articulatory Physiological ناظرين إلى الخواص النطقية للأصوات وآخذين في الحسبان وظائف الجهاز النطقي وحركات أعضائه عند إصدار الأصوات . ولم يفتهم هذا المبدأ الأساسي في عملهم إلا في صور ثانوية قليلة ، عندما كانوا يلجأون إلى عنصر التأثير السمعي للأصوات ووقعها على الأذن . ولقد جاء هذا النهج مخالفاً لما سلكه اليونان والرومان في هذا المضمار ، حيث عكسوا الطريق ، فكان اعتمادهم الأساسي على الحاسة السمعية للأصوات ودرجات تأثيرها على الأذن ، على حين لم يعطوا الجانب النطقي الفسيولوجي الا اهتماماً ثانوياً غير مطرد .

أما الهنود فقد اعتمدوا في دراساتهم الصوتية على الجانبين : النطقي الفسيولوجي والسمعي كذلك ، ولكن هذا لا يعني بحال أن العرب قد اقتفوا أثرهم وقلدوهم في عملهم جملة وتفصيلاً .

ان دراسة التفصيلات والجزئيات التي عرض لها هؤلاء وأولئك تشير بوضوح إلى اختلاف كبير بين الفريقين في المنهج وطريق البحث . وربما يظهر ذلك بصفة خاصة في تعريف كل من المدرستين لتلك الأصوات الموسومة بالحركات ، فقد جاء تعريفها عند العرب مخالفاً في الأساس لتحديدها عند الهنود . على أننا لا ننكر أن يكون هناك تأثير بينهما في هذا المجال ولكنه تأثير وتأثر من ذلك النمط الذي تخضع له كل الأمم بحكم الاختلاط الثقافي وغير الثقافي .

أما السبق التاريخي فذلك ما تشهد به آثارهم التي تضرب بعيداً إلى أعماق الزمن . فهناك مثلاً الأبجدية العربية التي تتضمن في نظامها وتكوينها مبادىء صوتية رائعة ، اذ جاءت هذه الأبجدية وفقاً لأحدث الآراء في الدرس الصوتي التي تنص على أن أفضل الأبجديات وأكملها تلك التي تراعي ذلك المبدأ المشهور : « رمز واحد لكل وحدة صوتية » ، فرمز للباء وآخر للتاء وثالث للثاء وهكذا . وفي هذا المجال تفوق الأبجدية العربية غيرها من الأبجديات قديمها وحديثها على سواء . انظر مثلاً الى الأبجدية الانجليزية ، تلك الأبجدية التي يرمز فيها بعدة رموز للصوت الواحد ، ككتابتهم مثلاً لصوت — K بالرمز — K مرة كما في — Kind وبالرمز — C مرة اخرى ، كما في — Can .

قام العرب بهذا العمل الجيد منذ زمن طويل قبل الاسلام بفترة لا ندري تحديدها بالدقة .

وتتابعت الجهود الصوتية في القديم فجاءت أعمال الخليل بن أحمد في حقل الأصوات آية في الدقة والأصالة كذلك . يظهر ذلك بوجه خاص في ابتكاره موسيقى الشعر . وموسيقى الشعر كما نعلم منظومة في أنماط موسيقية وتفعيلات محددة تخضع لنظام المقاطع وتركيبها في اللغة العربية .

وفي رأينا ان الخليل كان الرائد الأول في ترتيب الأصوات من حيث مواضع النطق ومخارج الكلام ، واستطاع بعبقريته الفذة أن يضع الأصوات في مواضعها الصحيحة وأن ينسبها إلى مواضع نطقها .

تم ذلك كله في صورة دقيقة لم تخرج عما قرره المحدثون الا في حالات جزئية تختلف فيها وجهات النظر بسبب المبادىء التي بني عليها هذا الترتيب ولسبب التطور الذي لحق بعض الأصوات .

ويؤكد هذا السبق العلمي للعرب بأقوال علماء الغرب بأنفسهم فهذا واحد منهم يقول : لم يسبق الأوربيين في هذا العلم ( علم الأصوات ) إلا قومان : العرب والهنود . ويقرر فيرث : « أن الدراسات الصوتية نشأت ونمت في أحضان لغتين مقدستين هما العربية والسنسكريتية » .

## المنهج وطريقة البحث

لم ينجح العرب في بحوثهم اللغوية نجاحهم في دراسة الأصوات ، وذلك من حيث المنهج وطريقة البحث . لقد كان هذا المنهج في عمومه وصفياً خالياً من الافتراضات العقلية والمتاهات الفلسفية التي أساءت إلى الصرف والنحو والبلاغة . وقد كان هذا الوصف نفسه مبنياً على أساس من أهم أسس البحث الصوتي في الوقت الحاضر ، وهو الملاحظة الذاتية — Introspection . فقد تذوق علماء العربية الحروف وحددوا مواضع نطقها تحديداً دقيقاً إلى درجة ملحوظة . كما استطاعوا بهذه الوسيلة ذاتها — وسيلة الملاحظة الذاتية — أن يدركوا خواص الأصوات المختلفة ، وأن يصفوا هذه الخواص ويخضعوها لتصنيف علمي رائع ، بحسب ما تبرزه هذه الأصوات من سمات وصفات مشتركة .

وهكذا نهج العرب نهجاً يظنه الناس من صنع الفكر الحديث ويخالونه خاصة من خواص البحث العلمي الموضوعي في الوقت الحاضر ، على حين تقرر الحقائق أن العرب قد سبقوا غيرهم من الأمم في معرفته وتطبيقه والوصول منه إلى نتائج رائعه .

## نماذج

وفي مقدورنا الآن أن نأتي بأمثلة مما قدم هؤلاء القوم في دراستهم الصوتية ، حتى يتبين لنا إلى أي مدى أجادوا في دراسة أصوات لغتهم وفي تحليلها ومعرفة أسرارها إلى مستوى يضع أعمالهم موضع المقارنة مع أدق ما وصل اليه الدارسون المعاصرون .

ونكتفي هنا — لضيق المقام — بمثالين اثنين ، أحدهما يتعلق بميكانيكية النطق وجهاز هذا النطق ، وثانيهما يتعلق بمسألة جزئية ، قد تبدو غير ذات شأن عند غير العارفين ، ولكنها في حقيقة الأمر ذات مغزى علمي خطير .

١ — لقد استطاع عالم عربي قديم هو ابن جني ، أن يدرك معنى الجهاز النطقي ووظيفته وطبيعته . انه يشبه هذا الجهاز بالناي ويقارن عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي ، فكما أن هذا التحريك من وضع للأصابع ورفع لها ينتج نغمات مختلفات فكذلك أعضاء النطق حين تعترض الهواء أو تسمح له بالخروج من هذه النقطة أو تلك . يقول ابن جني في هذا الشأن :

« ولأجل ما نعرف من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ، شبه بعضهم الحلق والفم بالناي . فان الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً ، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة . فاذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه . فكذلك اذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماده على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة » .

ولم يقتصر الأمر على هذا الوصف لميكانيكية جهاز النطق . فهذا هو السكاكي صاحب المفتاح يقدم لنا رسماً بيانياً يوضح به هذا الجهاز ، ويوزع الأصوات العربية على أجزائه المختلفة . وهو عمل يدل على ادراك ووعي عميقين ، وهو أيضاً عمل بارع بمقياس هذا الزمن السحيق الذي تم فيه وضع هذا الرسم .

٢ — يروي لنا التاريخ قصة عن أبي الأسود الدؤلي تنبيء عن قدرة عجيبة في فهم طبيعة الأصوات وتشير إلى إدراك عميق لخواصها المميزة لها . فقد جاء في هذه القصة أنه فرق بين الحركات العربية الثلاث على أساس فسيولوجي ، وذلك بالاشارة إلى أوضاع الشفاه حال النطق بها . ومن هذا الوضع نفسه أطلقت على هذه الحركات أسماؤها المعروفة بها حتى الآن : الفتحة والكسرة والضمة .

يقولون : انه كان قد طلب إلى أبي الأسود أن يضع نظاماً للشكل « يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله » فأبى أول الأمر ، ثم استجاب فيما بعد عندما سمع رجلاً يلحن في القرآن ، وطلب اليهم أن يحضروا له كاتباً ، فبعثوا اليه ثلاثين كاتباً ، فاختار منهم واحداً من عبد القيس وقال له : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه ، واذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله ، واذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف » .

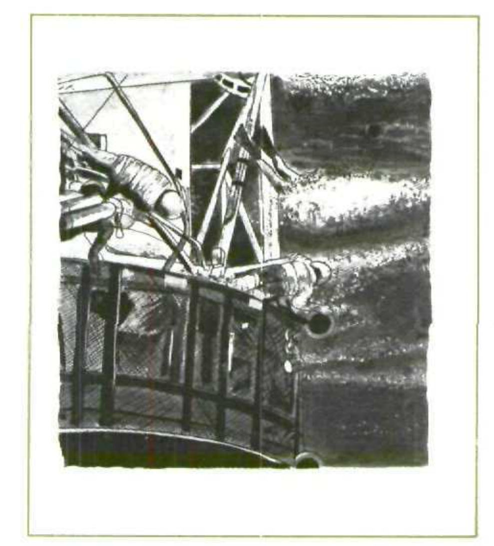
وهكذا نرى هذا العبقري العربي يسبق الدارسين بمئات السنين في وضع أساس من أسس التفريق بين الحركات ، وذلك بالاعتماد على شكل شفتي الناطق . ومن المعروف أن تصنيف الحركات في الدرس الصوتي الحديث يعتمد فيما يعتمد على هذا الاساس العضوي الفسيولوجي — Physiological الذي وعاه أبو الأسود منذ زمن سحيق .

هذه لمحة خاطفة إلى آثار الدارسين العرب في البحث الصوتي ، ولا تعدو هذه اللمحة أن تكون نوعاً من توجيه النظر نحو هذه الآثار لمحاولة اخراجها إلى الناس في صورة مشرقة تشهد لهم بالتفوق والبراعة في هذا الفرع من العلم . ولسوف يفخر الانسان حين يعلم أن ابن جني قد استعمل في كتابه « سر صناعة الإعراب » المصطلح « علم الأصوات » للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو ما جاء في الدرس الصوتي الحديث . يقول : ولهذا العلم علم الأصوات والحروف ... تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم » .

وفي ظننا أن هذا المصطلح بهذه الصورة وهذا التركيب قد جاء سابقاً للمصطلح الأوربي المقابل له وهو — Phonetics •

د. كمال محمد بشر — القاهرة

# روّاد فضـــاء يمشـون تحـت المـــاء



رسم يمثل رائدي الفضاء «تشارلز كوبر» و«جيمس مارتن» أثناء قيامهما ببعض التجارب العلمية الرامية إلى ايجاد الحلول لبعض المشكلات التي يواجهها الرواد خلال رحلاتهم الفضائية . . ويبدوان هنا وسط حوض التجارب المائي التابع لمركز هنتزفيل بولاية الا باما .

قلما تخلو رحلة من رحلات الفضاء من مشاكل معينة تقتضي ايجاد حل سريع لها قبل ان يستفحل امرها . وفي حال تعرض رواد الفضاء لأية متاعب ابان وجودهم في الفضاء الخارجي ، يسارع فريق خاص من العلماء على اليابسة في الغطس تحت الماء لايجاد الحل المناسب لهذه المتاعب . وهؤلاء العلماء هم ايضاً رواد فضاء يقفون دوماً على أهبة الاستعداد للبحث عن الحلول المناسبة لمختلف المشاكل التي يواجهها رواد الفضاء خلال رحلاتهم عبر الفضاء الخارجي .

ولو ان احداً أراد ان يحصي مجموع عدد الساعات التي مشاها الرواد في الفضاء الخارجي منذ بدء تنفيذ برنامج الفضاء حتى الآن ، لوجد ان رائد الفضاء « تشارلز كوبر » يتفوق عليهم جميعاً ، اذ انه مشى أكثر من الفي ساعة في الفضاء ، ومع ذلك فهو لم يخرج أبداً من نطاق مجال الأرض . ولعل السر في ذلك أن « كوبر » يقوم بالمشي تحت الماء في ظروف شبيهة بتلك التي يواجهها رجال الفضاء وذلك وسط حوض مائي تابع لمختبر الأبحاث الفضائية في « هانسفيل » بولاية « الاباما » الأمريكية .

ان الغاية من وراء الغطس في حوض التجارب الفضائية هذا ، هي ايجاد الحلول الناجعة لحل المشاكل الناجمة عن فقدان التوازن الذي يتعرض له رواد الفضاء ، ومن أجل ذلك يقوم رواد الفضاء بتطبيق أفضل الطرق الفنية الخاصة بحل مثل هذه المشاكل . ولقد كان لحوض التجارب الفضائية الأثر الكبير في نجاح برنامج المختبر الفضائي — Skylab .

ويقول أحد رواد الفضاء البارزين في هذا الصدد ، « لو لم نكن قادرين على سبر أغوار النظام الشمسي في حوض التجارب الفضائية ، لوجد رواد الفضاء مشقة كبرى في حل أية معضلة قد تواجههم ابان وجودهم في الفضاء الخارجي . لقد بدت المهمة في منتهى السهولة من خارج حوض الماء المذكور ، ولكن عندما ارتدينا بدلات الغطس الخاصة ، ونزلنا إلى حوض التجارب الفضائية ، لم يكن باستطاعتنا القيام بأي عمل نظراً لأنه لم يكن هناك شيء نتشبث به . ولم ندرك أهمية هذه الحقيقة حتى ذلك الحين » . وانطلاقاً من هذه الحقيقة فقد جرى اضافة قضبان خاصة طول الواحد منها خمسة أقدام إلى المركبة الشمسية التي يستخدمها رواد الفضاء في حالة اضطرارهم للقيام باجراء عمليات اصلاح على مختبر الفضاء — Skylab أثناء رحلاتهم . وفي هذا المختبر يرتدي رواد الفضاء على اليابسة بزات شبيهة بتلك التي يرتديها رواد الفضاء . غير أنها تختلف عن الأخيرة بأنها تحتوي على أثقال اضافية تتراوح زنتها بين ١٢٠ و ١٢٥ رطلاً تعلق بالخاصرة والظهر والقدمين لمقاومة تأثير ضغط الهواء الموجود في بدلة الفضاء . وجدير بالذكر ان حوض الماء الذي تجري فيه مثل هذه التجارب ، يتسع لحوالي مليون ونصف المليون جالون من الماء الصالح للشرب لا تزيد حرارته على ٦٨ درجة فرنهايت . أما الحرارة داخل بدلة الفضاء نفسها فتتراوح بين ٧٠ و ٧٢ درجة فرنهايت .

ان مهمة رائد الفضاء الرئيسية على اليابسة هي البحث عن الحلول المناسبة للمشاكل الفنية والمتاعب الجسمانية التي قد يتعرض لها رواد الفضاء اثناء وجودهم في الفضاء الخارجي . وكذلك توفير طاقة رائد الفضاء والحيلولة بينه وبين القيام بجهد كبير يستطيع رواد الفضاء المشاركون تنسيقه بشكل أكثر فعالية وأقل جهداً . ويقوم المسؤولون في الحوض المائي الآنف الذكر ببحث كل مشكلة يمكن ان تعترض سبيل رائد الفضاء من جوانب عدة حتى يستنفدوا جميع المحاولات الممكنة لحلها على الوجه الأكمل .

ويقول « كوبر » رئيس قسم الاختبار انه يرسل معلومات عبر الراديو عن كل خطوة يقوم بها ، إلى رواد الفضاء أثناء تحليقهم في الفضاء الخارجي ، موعزاً لهم باتباع أفضل الطرق وأدقها لمعالجة أية مشكلة قد تواجههم في مهمتهم عبر الفضاء .

ان العمل داخل مختبر الفضاء — Skylab او خارجه ، انما يعتمد على ثلاثة أشياء رئيسية هي ، الارتفاع ، ومدى متناول يد رائد الفضاء ، ومدى ارتفاع قامته . فمدى متناول يد رائد فضاء تبلغ قامته خمسة أقدام وعشر بوصات مثلاً ، إلى أشياء معينة ، تختلف عن مدى متناول يد رائد فضاء آخر قامته ستة أقدام وخمس بوصات . ولهذا السبب يجري تحديد عمل كل واحد منهم في المختبر الفضائي أثناء رحلات الفضاء .

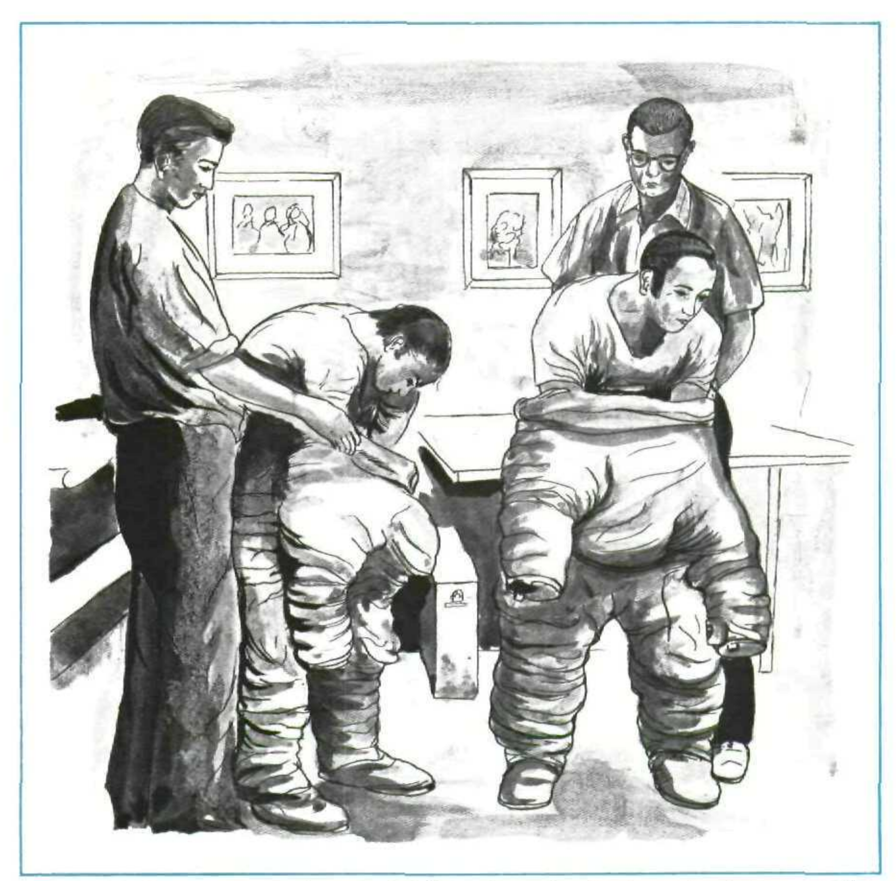
ويقول « كوبر » انه ما زال من الصعب حتى الآن ، الاقتناع بفكرة ان رد الفعل لدى

مشهد لاحدى عمليات الغطس التي يمارسها رواد الفضاء في حوض التجارب المائي لدراسة الظروف البيئية التي تكتنف رجال الفضاء ومن بينها ظاهرة انعدام الوزن .

المرء وهو داخل حوض ماء الاختبار ، هو مماثل لرد الفعل لديه وهو في الفضاء . ولعل فكرة استخدام حوض الاختبار المائي هذا ، ترجع إلى حوار جرى قبل بضعة أعوام حول كيفية تحريك قطعة في الفضاء زنتها ١٢٠ رطلاً . وقد استطاع « كوبر » ان يثبت وجهة نظره حيال ذلك بالاستعانه بحوض صغير للماء ، حيث قام هو ورفاقه العاملون معه بتحريك قطع وادوات كبيرة ذات أحجام ضخمة تحت الماء يزن بعضها حوالي ٨٠٠٠ رطل .

ومن جهة أخرى ، يقوم « كوبر » بتدريب عدد كبير من رواد الفضاء الذين سيهيأون للقيام برحلات إلى الفضاء في المستقبل ، وهو نفسه الذي تولّى تدريب رواد مختبر الفضاء — Skylab . لذلك فإن رابطة التعارف بين رواد الفضاء تساعد ولا شك على تسهيل الاتصال والتفاهم فيما بينهم . فعندما يكون رائد الفضاء محلقاً في عربته في الفضاء فانه يدرك في الوقت نفسه ، ان هناك فريقاً من الرواد على اليابسة ملمون بالمشاكل التي يتعرض لها وكيفية معالجتها ، وانه إذا ما حدثت مشكلة طارئة غير منظورة ، فإن زملاء له على اليابسة ، لا بد وان يجدوا الحل المناسب لهذه المشكلة مهما كانت الظروف والمتاعب المترتبة عليها •

إعداد : يعقوب سلام هيئة التحرير



اثنان من رواد الفضاء يرتديان بذلتي الفضاء استعداداً للقيام باحدى التجارب تحت الماء في ظروف مشابهة لتلك التي يعيشها الرواد في الفضاء .

# الغيبوبة

بقلم: الدكتور إبراهيم ناصر

على الرغم من ان الجميع يعرفون ما هي حالة الوعي او اليقظة ، فانه من الصعب بمكان تحديد هذه الحالة وتوضيح معالمها . فالوعي ليس مجرد الصحو بل يتعدى ذلك إلى المعرفة التامة بالنفس وبما يكتنفها من مؤثرات خارجية معينة . وحين نتحدث عن حالة الوعي — Consciousness أو حالة فقدان الوعي « الغيبوبة » من الناحية الطبية ، فاننا نشير بالدرجة الأولى إلى قدرة الانسان على التفاعل مع المؤثرات الخارجية . ولذا فانه لا بد من أن نفرق بين ما يسمى بمضمون حالة الوعي ، وهذا يشمل القدرات الذهنية بما في ذلك الكفاءة العقلية وقوة الذاكرة والمقدرة الكلامية ، وبين حالة الوعي نفسها . فالانسان المتخلف ذهنياً « الأبله » رغم كون حالة الوعي لديه سليمة فانه ينفعل للمؤثرات الخارجية ويكون مضمون هذا الوعي لديه ناقصاً نظراً لتخلفه الذهني . وكذلك الأمر بالنسبة للانسان الأصم أو الأبكم .

تتفاوت درجات حالة فقدان الوعي ما بين « الذهول — Drowsiness والغيبوبة — Coma او فقدان الوعي التام » . ففي الحالة الأولى يفقد المرء القدرة على التركيز وربما الاتصال بالبيئة المحيطة به فلا يعود يعرف مكان وجوده بل ويتعذر عليه أيضاً التعرف إلى اصدقائه أو أقاربه . وهنالك حالة ما يسمى بـ « نصف الغيبوبة — Semi Coma » وفيها يكون المرء فاقداً للوعي الا انه يبدي حركات عشواء ويحس بالألم لدى وخزه بشيء حاد كالإبرة وقد يحرك يده مبتعداً عن مصدر الألم . أما في حالة الغيبوبة التامة— Coma ، فإن المرء يفقد



رسم تخيله الفنان لشخص في حالة غيبوبة . وقد تم الابقاء على حياته بالأجهزة الصناعية الخاصة بالتنفس والتغذية بالمصل وبأخرى غيرها .

كل حركة بل وكل اتصال بالبيئة الخارجية ، كما يفقد الاحساس بالالم او الحرارة والبرودة ، ويبدو شبه ميت ما خلا انتظام دقات قلبه وحركاته التنفسية . وهكذا نرى ان هناك شبهاً كبيراً بين حالة الغيبوبة والنوم العميق حتى ليصعب أحياناً التفريق بينهما .

ومن أجل الحفاظ على حالة الوعي السليم ، فلا بد من انتظام عمل الدماغ بشكل عام . غير ان هناك بعض المراكز الواقعة في الدماغ لها ارتباط وثيق بحالة الوعي او فقدانه . فكل ما يؤثر على هذه المراكز يؤثر بالتالي على حالة الوعي ذاتها . ومن هذه المراكز ما يقع في مؤخرة الدماغ او ما يسمى « اصل الدماغ — Brain Stem وأهمها ما يسمى «بنظام اليقظة— « Reticular Activating Arousal System » و « مهاد الدماغ — Thalamus » ، وما تحت السرير البصري — Hypothalamus » .

أما بالنسبة لمضمون الوعي كالذاكرة والذكاء ومقومات الشخصية فانها تخضع جميعها لسيطرة « قشرة الدماغ — Cerebral Cortex » .

**والغيبوبة** عرض لمرض وليست مرضاً بحد ذاتها، والأمراض التي تتسبب في حدوثها من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها . فجميع الأمراض التي تصيب الانسان يكون لها تأثير على عمل الدماغ ووظيفته، لا سيما في مراحل المرض النهائية ، مما يؤدي إلى حدوث خلل في عمل مراكز الوعي ، وبالتالي إلى فقدان الوعي أو الغيبوبة . وسنحاول فيما يلي ان نستعرض الأسباب التي تكمن وراء حدوث هذه الظاهرة المرضية بغية تبسيطها و تقريبها إلى الأذهان :

• **اورام الدماغ** — Brain Tumors سواء منها المعتدل — Benign » او « الخبيث — Malignant » ، وكذلك الاورام غير السرطانية مثل « دمل الدماغ — Brain Abscess » و « الأكياس — Cysts » . وكل هذه الأورام تسهم في حدوث شيء واحد قد يؤدي إلى الغيبوبة ، وهو انه بنموها تضغط على مراكز الدماغ الحساسة التي تسيطر بدورها على حالة الوعي مما ينتج عنه في بداية الأمر حالات « الذهول — Drowsiness » . ومع استمرار نمو هذه الأورام وما تلحقه من تلف بمراكز الوعي في أعلى الدماغ ، تحدث الغيبوبة أو فقدان الوعي . ومن الأمور الأخرى التي قد تنجم عن وجود مثل هذه الأورام ما يسمى « بارتفاع ضغط الدماغ » ، وكذلك انسداد في الفتحات التي يجري فيها سائل الدماغ والنخاع الشوكي — Cerebro spinal Fluid مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط هذا السائل داخل الدماغ وبالتالي إلى تلف مراكز الدماغ الحساسة المسئولة عن حالة الوعي . ونتيجة لذلك يحدث فقدان الوعي أو الغيبوبة .

ان لموقع الورم من الدماغ ونوعه وسرعة نموه أثراً كبيراً في تحديد اعراض هذا الورم بما في ذلك حالة الغيبوبة . فاذا ما كان الورم من النوع البطيء النمو وواقعاً في منطقة من الدماغ بعيدة عن مراكز الوعي الحساسة . فان امكان حدوث الغيبوبة في هذه الحالة يكون ضئيلاً . أما إذا كان هذا الورم في منطقة محاذية لمراكز الوعي أو بالقرب من احدى الفتحات التي يجري فيها سائل الدماغ الآنف الذكر بحيث يؤدي إلى انسداد هذه الفتحات فان احتمال حدوث الغيبوبة وبصورة مبكرة من مراحل المرض يصبح كبيراً . ولسنا هنا بصدد شرح أنواع هذه الأورام واعراضها فهي كثيرة ومتعددة .

• **امراض شرايين الدماغ**—Cerebrovascular-Diseases : تعتبر هذه الأمراض من أهم الأسباب الكامنة وراء حدوث ظاهرة الغيبوبة ، وهي أكثر شيوعاً وانتشاراً بين الأشخاص المسنين . ومن المعروف ان الدم يجري في شرايين الجسم حاملاً الغذاء والأوكسجين لخلايا الجسم المختلفة ، كما ان خلايا الدماغ هي أكثر خلايا الجسم حساسية لفقدان الغذاء والاوكسجين . من هنا تأتي أهمية وظيفة القلب والشرايين بالنسبة للدماغ ، لذلك فانه لا بد من انتظام وصول هذه المواد الأساسية « الغذاء والاوكسجين » إلى خلايا الدماغ والا نتج عن ذلك اعراض مرضية عديدة تؤدي في النهاية إلى الغيبوبة والوفاة .

واهم أسباب مرض شرايين الدماغ ما يُسمى «بتصلب الشرايين — Atherosclerosis (١) حيث ترسب المواد الدهنية وخاصة « الكوليسترول » في جدران الشرايين فتسبب تقلصاً أو انسداداً في هذه الشرايين مما ينتج عنه ما يسمى « بالشلل النصفي » . فاذا ما تعرضت الشرايين التي تغذي مراكز الدماغ الحساسة لهذا المرض انفجر احدها وحدث نزيف دموي داخل الدماغ — Intracranial Hemorrhage ، مما يؤدي إلى حالة فقدان الوعي . على ان انفجار هذا الشريان قد يتأتى عن أسباب متعددة من أهمها « ارتفاع ضغط الدم — Malignant Hypertension » أو ضعف « جدار الشريان — Aneurysm » إلى غير ذلك من الأسباب .

ومن العوامل الأخرى المسببة للغيبوبة أيضاً حالات « هبوط القلب الشديد — Cardiogenic Shock » حيث يعجز القلب عن ضخ كمية كافية من الدم إلى الدماغ وباقي اعضاء الجسم .

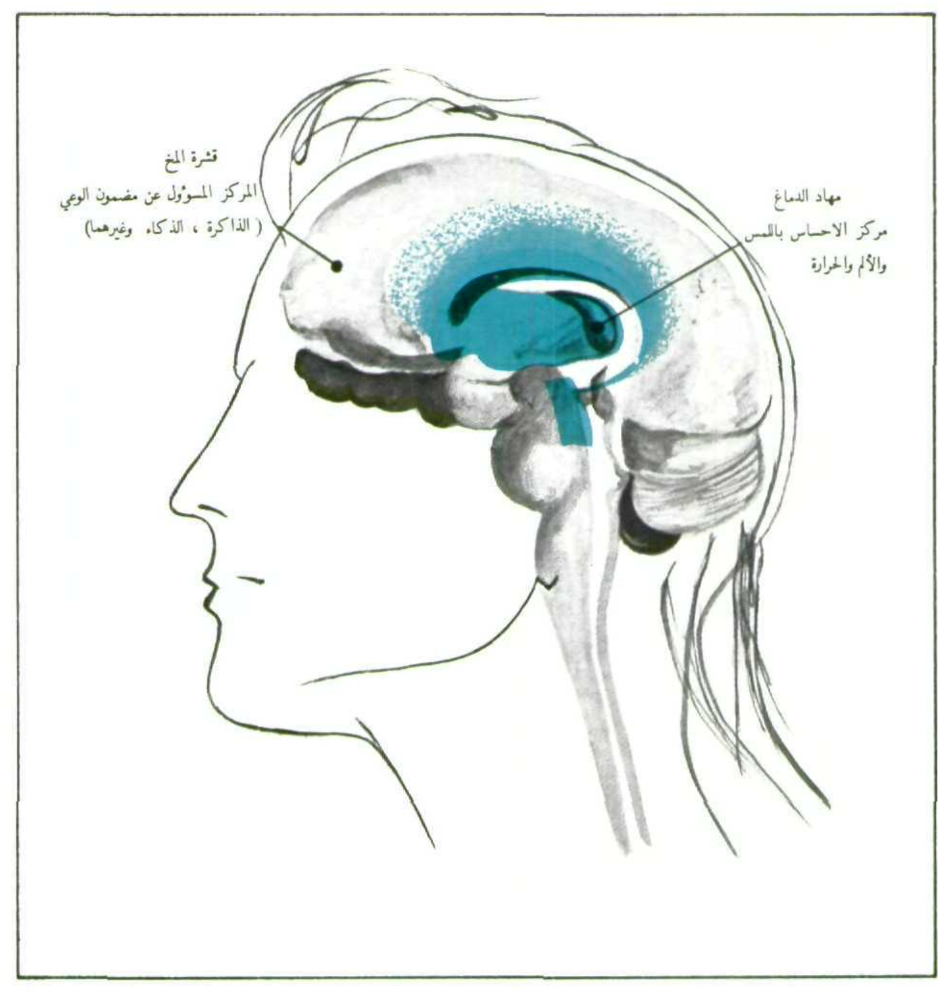
• **التهاب الدماغ والسحايا** — Encephalitis Meningitis » : يحدث هذا المرض نتيجة « التهاب جرثومي — Bacteria or Viruses » . وهذا المرض اذا ما أصاب الدماغ ، اتلف مراكزه الحساسة وادى بالتالي إلى الغيبوبة . وإذا ما أصاب السحايا التي تحيط بالدماغ أحدث ارتفاعاً حاداً في ضغط سائل الدماغ والنخاع الشوكي ، الأمر الذي يترتب عليه بالتالي فقدان الوعي . ولكل من هذه الأمراض وسائل مخبرية محددة للكشف عنها والتحقق من أسبابها .

• **صدمات الرأس** — Head Injuries : وهي من الأسباب الشائعة وراء حدوث فقدان الوعي خاصة في حالات حوادث السيارات حيث تكون الصدمة خفيفة ثم لا تلبث ان تظهر اعراضها في وقت لاحق من خلال تغير ملموس في تصرفات المصاب وسلوكه ، وفي درجة وعيه وذلك بسبب حدوث نزيف دموي تحت « سحايا الدماغ — Subdurat Hematoma » . وقد تكون الصدمة من القوة بحيث يفقد المصاب وعيه في الحال — Brain Concussion and Contusion ، وفي بعض الأحيان ينفجر احد شرايين الدماغ مسبباً بذلك نزيفاً داخلياً يؤدي بدوره إلى الغيبوبة او الوفاة . وقد يحدث كسر مضاعف لجمجمة الرأس فيضغط هذا العظم المكسور على مخ الدماغ مسبباً بذلك الغيبوبة .

• **الأمراض الأيضية** — Metabolic Diseases : تشترك هذه المجموعة من الأمراض في التأثير على مراكز الوعي فتسبب الغيبوبة . ومن بين هذه الأمراض مرض السكري بحالاته المختلفة ، ومرض تبوُّلن الدم — Uremia » و « هبوط الكبد — Hepatic Coma » وكذلك « ضربة الشمس — Heat Stroke » ، ولكل من هذه الأمراض أعراض متعددة تساعد الطبيب على التمييز بينها .

• **التسمم** : تعتبر حالات التسمم على اختلاف انواعها سواء بالأطعمة او الغازات او المواد الكيماوية او العقاقير ( كالمهدئات والمنومات ) من العوامل المسببة للغيبوبة وربما للوفاة .

(١) راجع قافلة الزيت عدد شوال ١٣٩٥




رسم يوضح المراكز الحساسة في الدماغ .

والآن ، وبعد أن استعرضنا معاً بعض العوامل الرئيسية المسببة للغيبوبة ننتقل فيما يلي إلى وسائله العلاجية :

• **العناية التمريضية** – Nursing Care : ينبغي توفير العناية اللازمة للمصاب بالغيبوبة بالمحافظة على نظافته وتغيير وضعه من جهة إلى أخرى بصورة منتظمة وذلك لمنع « تقرح الجلد – Bed Sores » نتيجة للاستلقاء على جانب واحد فترة طويلة من الزمن .

• **التغذية** : يجب توفير الغذاء اللازم للمريض اذ يتعذر عليه تناول طعامه بنفسه ، ويتم ذلك عن طريق الأوردة – Intravenous Feeding . أما في حالات الغيبوبة المزمنة فتتم التغذية عن طريق ايصال الغذاء السائل إلى المعدة والامعاء بواسطة أنبوب من المطاط أو البلاستيك يصل بين الأنف أو الفم والمعدة – Nasogastric Feeding » .

• **العناية بوظائف اعضاء الجسم الهامة** : وهي تشمل بصورة خاصة القلب والجهاز التنفسي . فاذا تعذر على المريض القيام بعملية التنفس بنفسه أمكن عمل ذلك عن طريق جهاز خاص بالتنفس الصناعي . أما بالنسبة للقلب فثمة أجهزة متطورة – Cardiopulmonary Support يمكن بواسطتها مساعدة القلب على اداء مهمته بشكل أفضل .

وبفضل التقدم التقني الذي حققه الانسان في حقل الطب خلال العشرين سنة الماضية ، أمكن إنقاذ حياة أناس كثيرين كانوا مصابين بالغيبوبة ، وذلك باستخدام الوسائل الحديثة في أغراض التغذية والتنفس وغيرها . . كما أصبح من الممكن الآن العناية بالمصابين بالغيبوبة لاشهر أو لسنوات عدة ريثما يستعيدوا وعيهم أو أن يحل القدر المحتوم . غير ان هذا التقدم العلمي في مجال العناية بهؤلاء المرضى ، قد خلق مشكلة عويصة من نوع جديد لم يعرفها الناس من قبل . فقد أمكن الابقاء على حياة افراد كثيرين ممن ظلوا لبضع سنوات في حالة الغيبوبة وذلك بفضل استخدام الآلات الحديثة . وقد اثارت هذه الظاهرة تبايناً كبيراً في الآراء ووجهات النظر لدى الأوساط الطبية . . فهناك رأي يقول بوجوب ايقاف الاجهزة الصناعية عن العمل بعد التثبت من تلف الدماغ وترك المريض يواجه القدر المحتوم ، لأن الحياة المبنية على هذه الوسائل الصناعية تفقد معناها السامي . ورأي آخر يقول بوجوب الاستمرا ر في الابقاء على حياة المريض باستعمال الوسائل المتوفرة إلى أن يقضي الله أمره .

**وَمادمْنا** في هذا الصدد لا بد لنا من اشارة عابرة إلى حالة الغيبوبة التي أصيب بها الجنرال «فرانكو».رئيس دولة اسبانيا السابق والتي أودت بحياته قبل بضعة أشهر . . فقد بقي فرانكو في غيبوبة تامة دامت عدة أسابيع وهو يصارع الموت على الرغم من الجهود الطبية المضنية التي بذلها الأطباء . . كما نشرت مجلة « نيوز ويك » الأمريكية منذ بضعة أشهر مقالاً مطولاً عن حالة الغيبوبة اشارت فيه إلى قصة فتاة ما زالت في حالة من الغيبوبة التامة منذ ٣٤ عاماً معلقة بين الحياة والموت . . فقد أحدثت هذه الحالة صدى كبيراً في الأوساط الطبية .

وبعد . . فان حالة الغيبوبة هذه ما زالت مدار بحث لدى علماء الطب . . ومهما يكن من أمر فان كل حي إلى زوال وجلّ من قال : « **فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » •

**د. ابراهيم ناصر – جامعة البترول والمعادن**
**الظهران**

# الزّورقُ الحيران

للشاعر: علي الفقي

ردّد الطيرُ ندائي بينَ أغصان الشَّجَر
وأصاخ الليلُ للهاتفِ في جنحِ السَّحر
إيه يا صخرةُ قد طال على الرّكْبِ السفر
مُتْعبٌ أجْهدَه السَّيرُ وأعياه السَّهَر
حدِّثيني هل لديك الآن عن ليْلى خبَر

* * *

ايه يا صخرةُ هل من مشفقٍ يرثي لحالي ؟
أوحبيبٍ صادقِ الخفقَةِ ألقاه حيالي ؟
أنا ذاك الزورقُ الحيرانُ ألقته اللّيالي
في خضمٍ غائب الشطين مرهوبِ الجلال
كلّ جهدي فيه فاستسلمْتُ واستعْصى نِضالي

* * *

كم لنا من جلسةٍ فوقكِ والأمواجُ تجري
وشراعُ الحبِّ والأحلامِ خلفَ الموجِ يسري
منظرٌ بالحسْنِ ، والسِّحر ، وبالفتنةِ يُغري
سكنَتْ من حولنا الدنيا فإن بُحْنا بسِرٍّ !
ضمَّه الليلُ كما ضمَّ جراحَ الحبِّ صَدري

* * *

وانتحينا نملأ الليلَ أحاديثاً وشعرا
تارة أشكو لها حالي فتُصغي لي وأخرى
أشرحُ الشّوق اليها وهْي بالعلّة أدرى
واستراح الناس إلا حائراً فيه وحيْرى
لقِيا في الحب تعذيباً وفي التعذيبِ صبْرا

* * *

وانتبهنا بعد ما أسْرى بنا الحبُّ وطارا
في سماءٍ ضلّ في أبراجها قلبي وحارا
غَشيتَهْا أنفسٌ أمضَت لياليها سهارى
فاذا الصبحُ بدا للعينِ والليلُ توارى
واذا ، نحنُ على الصخرةِ كالأمسِ حيارى

علي الفقي – القاهرة



# الديوان

تأليف: عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني

عرض وتعليق: الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الجعيثن



## تمهيد

يشبه كثير من الأدباء المصريين أيام أحمد شوقي وبعده بقليل جمهور الكرة من الدرجة الثانية أو الثالثة ، فهم لا يكادون يعرفون موضوعية أو انصافاً ، أغلبهم يميل الى شوقي كل الميل ، ويغفر له كل زلة أو خطأ بل يرى أخطاءه حسنات ، ويفضله على جميع الشعراء ، ومن هؤلاء الأستاذ عباس حسن الذي ألف كتابه « المتنبي وشوقي » حيث قارن الشاعرين ببعضهما ، وانتهى بتفضيل شوقي على المتنبي بدليل حيناً وبلا دليل في كثير من الأحيان ثم انتهى الى أن شوقي أشعر العرب ، ضرورة ان المتنبي كان أشعرهم في رأيه ، وبعضهم يكره شوقي وينكر أي مزية له ، بل لا يكاد يعترف بأنه شاعر .. وقد قسمت تلك الخصومة المجتمع الأدبي شيعاً وأحزاباً.

يقع الكتاب في ١٩٠ صفحة يضمها جزءان . وفي المقدمة يذكر المؤلفان أن الكتاب سيتم في عشرة أجزاء . . والذي نعرفه أنه لم يصدر منه الا جزءان ، كما ذكر ذلك الناشر (ص/٣).

ويتناول بالنقد شوقي والمنفلوطي وعبد الرحمن شكري .

وأسلوب الكتاب قوي ممتع ، وفيه كثير من الآراء النقدية العميقة ، وكثير من النقد التطبيقي المفيد ، ولولا التحيز الظاهر في الكتاب ، ومجانبة الموضوعية العلمية فيه لكان رائداً في مجال النقد التطبيقي . على أن العقاد ليس من الذين يدفنون رؤوسهم في الرمال ، فهو يعترف بأنه كان عنيفاً جداً في نقده ويبرر ذلك بقوله :

« اننا لا نهدم خطأ مؤسساً على البرهان فننقضه بالبرهان وحده ، ولكننا نهدم الوهم المطبق والدسائس المتراكبة وما أحوج البرهان في هذه الى الشدة وما أقل ما يغني فيه اللين والهوادة » . ص/١١٧ .

ولعل المغالطة واضحة في هذا الكلام فان هدم الأمر الذي لا يقوم على برهان سهل

ميسور ، لا يحتاج الى عنف ، وذلك في مجال العلم والفكر والأدب .

واذا أطرحنا كل نقد غير موضوعي وجهه العقاد الى شوقي ، واقتصرنا على النقد العلمي الموضوعي رأينا العقاد يأخذ عليه ثلاثة مآخذ :

* التفكك أو انعدام الوحدة الموضوعية في القصيدة . ودلل عليه باعادة ترتيب بعض قصائد شوقي على غير ما أراد ، دون أن يتغير المعنى ، وذلك حق الى حد بعيد ، ولكننا نذكر القراء بأن العقاد نفسه لم يستطع أن يحقق الوحدة الموضوعية الدقيقة في شعره ، كما أنها لم تكسب شعره الخلود أو القوة حين طبقها .

* الإحاله أو فساد المعنى والمبالغات التافهة :

وقد ضرب له أمثلة عديدة ، فأخذ منها هذا البيت في رثاء مصطفى كامل :

**يا صب مصر ويا شهيد غرامها**
**هذا ثرى مصر فنم بأمان**

قال العقاد : « انما يرثي بهذا البيت غريباً جاهد في سبيل مصر وهو بعيد عنها ، فاذا قضى نحبه ولم يرها كان من العزاء أن نتعلل بأنه سينام في ثراها ، ومن السخف أن يقال لرجل مات في وطنه : أحببت بلدك فنم في ثراه . إذ كان لا يدور بخلد أحد أنه سيدفن في غيره » ص/١٤٦ .

* **التقليد :**

وفيه يعرض العقاد لتكرار المألوف من القوالب اللفظية والمعاني ، ويعرض لسرقة المعاني ويطيل فيها ، وحديث السرقة في تاريخ النقد الأدبي حديث طويل قد انحرف بنقدنا الى زوايا جانبية وأشغله بها ، مما جعله لا يتقدم كثيراً وجعل جهود النقاد لا تثمر .

أما نقد المازني لشكري فأكثره ذاتي متحيز غير ذي بال ، لكن نقده للمنفلوطي قوي كثير الفوائد وبخاصة في مقاله : « الحلاوة والنعومة والأنوثة » ص/٨٤ الذي قارن فيه كثيراً من النصوص الأدبية ببعضها مبيناً الفروق الدقيقة التي تميز الأصيل من الدخيل . . ومآخذ المازني على المنفلوطي كثيرة وفي ص/٨٢، نراه لا يحبذ أن يترجم الأديب لنفسه وذلك رأي لا نقبله منه ، ونتمنى لو قام كل أديب بتسجيل حياته والترجمة لنفسه ، فهو خير من يقوم بذلك ، والتراجم الذاتية من أصدق الأدب وأمتعه .

ونراه يأخذ على المنفلوطي هذا الضعف الشديد الذي طبع أدبه أو قل قصصه ، فاذا كل أبطاله ضعفاء بؤساء مهزومون ، يدعون الى الانتحار دعا دون أن يكافحوا أو يجاهدوا ، وعاب عليه تلك الكآبة القاتمة التي جعلته لا يرى في الحياة غير البؤساء والمنكوبين ، وقد نقل قول المنفلوطي في اهداء كتابه « العبرات » :

« الأشقياء في الدنيا كثيرون وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئاً من بؤسهم وشقائهم فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات علهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى » .

ثم عقب عليه بقوله :

« وأحسبه توقع أن يكبر الناس منه هذه الرحمة ويعجبوا بهذا القلب الذي شغل عن مطالب الحياة بالرقة عطفاً على المساكين أمثاله . . ولكن وظيفة المرء في الحياة ليست أن يكون ندابة فما لهذا خلق بل وظيفته أن يغالب قوى الطبيعة ويصارعها . . » ص/٩٠ .

وللعقاد رأي دقيق في تلك الرحمة المشهورة عن المنفلوطي ، وهو منشور في كتابه « مراجعات في الأدب والفنون » ص ١٦٣ ملخصه أن المنفلوطي بعيد عن الرحمة الصحيحة والاحساس الرقيق ، ذلك بأنه لا يكاد يحس بأبطاله ولا يكاد يلتفت اليهم حتى يصب عليهم صنوف البلاء واذ ذاك يرحمهم أقسى الناس ، فلا فضل له في رحمة تأتي بعد ذلك » وما ظنك بقلب لا يستدر العطف على المصاب حتى يجمع عليه بين ضنك الفاقة وتبريح السقم ويأس الحب ووحشة العزلة وذلة اليتم وسائر ما يحيق بأشتات المعذبين في الأرض من صنوف الشقاء وضروب الهوان والحرمان ؟ وما ظنك بعين لا تجود على المنكوب حتى تخرجه من الدنيا شريداً مسلوباً أباً لأيتام يتضورون من الجوع ؟؟

أتظن أن قريحة تلد هؤلاء الأبطال المساكين وتسأل لهم الرأفة بتلك الكوارث والأهوال ، قريحة تجيب داعي العطف القريب وتسرع الى الاحساس بالألم الضئيل أو هي على خلاف ذلك قريحة لا تبصر من مصائب النفوس الا ما جل وعظم وأوشك أن يتساوى فيه القساة والرحماء . . » ص/١٦٦ .

وقد لاحظ المازني كثيراً من الاضطراب والاحالة والمبالغة والتناقض في قصص المنفلوطي ودلل على ذلك بأمثلة كثيرة لا يتسع المقال لذكرها ، فليرجع لها من شاء ص/٩٦ ، وما بعدها .

ثم يتعرض المازني لأسلوب المنفلوطي فيتهمه بالسطحية والاقتصار على تزيين اللفظ والعبارة ثم يسجل عليه كثرة استعماله للمفعول المطلق ، وينسب ذلك الى ميله للمبالغة الممجوجة ، وحرصه على التأثير في القارىء وتهويل الأمور أمامه ، كذلك يسجل عليه ملاحظة هامة جداً وهي كثرة استعمال النعوت والأحوال ، كقوله — أي المنفلوطي :

« خرجت منه — يعني المنزل — شريداً طريداً حائراً ملتاعاً » وقوله : « تركني فقيراً معدماً لا أملك من متاع الدنيا شيئاً » ثم قال :

« ان هذا الاسراف في النعوت من دلائل الضعف وفقر الذهن لأن الكاتب انما يرصها واحداً بعد واحد وفي مرجوه أن يوافق واحد منها محله وأن يقع في مكانه ولكن المطبوع يعرف ماذا يأخذ وما يلقي وينبذ ، وانما كان هذا الاكثار من الصفات من علامات الوهن لأن الكاتب الضعيف لا يستطيع أن يتحرى الدقة إذ كان لا يدري أي الرموز اللفظية أكفل بالعبارة التامة عن المعنى المراد ، فهو من أجل هذا يستعمل اللغة جزافاً ويكيل الألفاظ بلا حساب » .

وللعقاد رأي في أسلوب المنفلوطي أيضاً نشره في كتابه « مراجعات في الأدب والفنون » ، وملخصه أن المنفلوطي منشىء لا كاتب ، والفرق بين المنشىء والكاتب أن الكاتب انسان قبل أن يكون حامل قلم وصائغ كلام ، وفضيلته فضيلة نفس شاعرة مدركة لا فضيلة لسان وعبارة ، وأحسن مواهبه تبقى له كاملة ناطقة اذا هو ترجم من لغة الى لغة أو حيل بين قارئه وبين بلاغة لفظه وأسلوب آدائه .

والكاتب جماله في الأسلوب جمال المعدن الصحيح لا جمال الزيف والطلاء ، فبياضه بياض الفضة واصفراره اصفرار الذهب ولمعانه لمعان الألماس ، وكل شيء له قيمته الطبيعية التي لا مبالغة فيها ولا تمويه عليها فهو يذكرك أبداً بالطبيعة الصادقة واللباب المكنون .

أما المنشىء فيختلف عن الكاتب في هذه الخلال ، فانك تقرأه وكأنما تشعر بالقشرة المطلية تحت يدك ، ويؤتى اليك أنه يخدعك فأنت تبصر فيه لون المعدن ولا تسمع رنته وتروز ثقله ، وتعلم أن السر كله في الصقل الظاهر وليس للمنشىء رسالة خاصة يؤديها من لدن الحياة ، ولكنه على أحسن ما يكون — صاحب زينة يسرك أن تنظر اليها وتجري يدك عليها وتفقدها كلها اذا أردت أن تنقلها من لغتها الى لغة أخرى تحفظ معانيها وتنفي قوالبها وألفاظها ●

**عبد الله عبد الرحمن الجعيثن — الرياض**

# أرامكو ١٩٧٥

جرياً على عادتها في أوائل كل عام، أصدرت أرامكو مؤخراً استعراضاً سنوياً لأبرز الأعمال والنشاطات التي حققتها خلال العام الفائت. وبمناسبة صدور هذا الاستعراض الأخير، تقدم القافلة فيما يلي عرضاً موجزاً لأبرز ما انطوى عليه من انجازات.

## أعمال الزيت

بلغ مجموع ما انتجته أرامكو من الزيت الخام في عام ١٩٧٥ (٨٩٣ ٨٣٣ ٤٩١ ٢) برميلا، وهذا المجموع يساوي حوالي ١٣ في المائة من مجموع انتاج العالم من الزيت الخام.

وفي نهاية العام، قدّر احتياطي الزيت الخام المرجح وجوده بنحو ١٧٥ ٧٥٩ ٠٠٠ ٠٠٠ برميل، ويدخل فيه الاحتياطي الثابت وجوده الذي بلغ حتى نهاية العام نفسه ١٠٧ ٨٥٧ ٠٠٠ ٠٠٠ برميل.

وفي مجال التنقيب، قامت سبع فرق سسموغرافية بأعمال مسح في المنطقتين المحتفظ بهما رقم — ١ ورقم — ٥ من منطقة امتياز أرامكو، كما استخدمت الطائرات للاستدلال على التكوينات القاعية بقياس المغناطيسية الأرضية بواسطة مغنيطومتر تحمله الطائرة، كذلك أجريت أعمال مسح محدودة بواسطة مقياس الجاذبية في الربع الخالي.

ومن ناحية أخرى، اكتشفت ثلاثة حقول زيت جديدة خلال العام هي حقل الدبدبة على اليابسة، وحقلا اللوهة والربيان في المنطقة المغمورة.

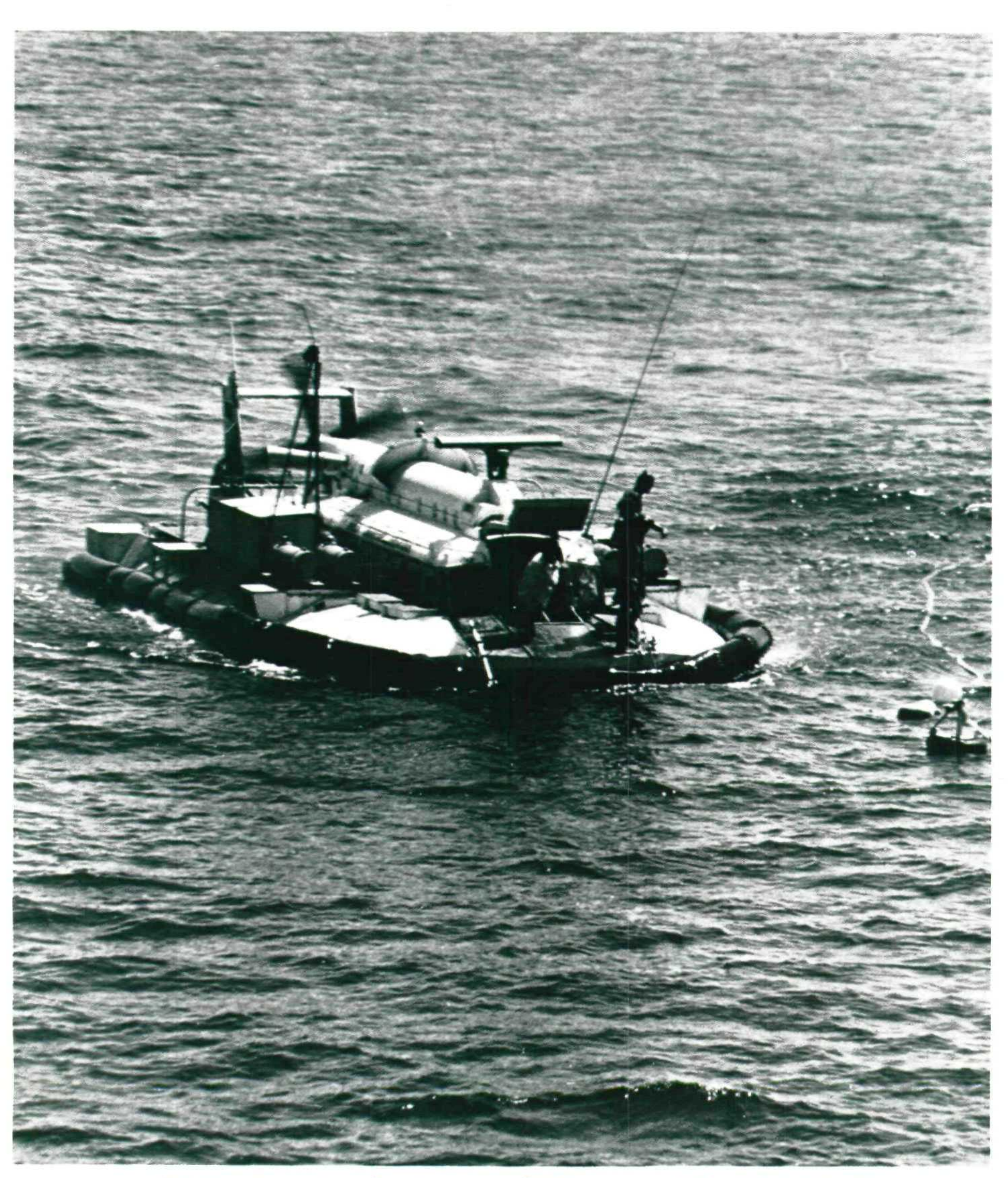
كما أكدت أعمال الحفر الاضافية واختبارات الانتاج التي أجريت خلال العام، أكدت انتاجية ثلاثة حقول أخرى هي حقل كرين في المنطقة المغمورة وحقلا بكر والرملة على اليابسة.

اختبار اهتزاز الآلات الثقيلة جزء من برنامج الصيانة الوقائية.

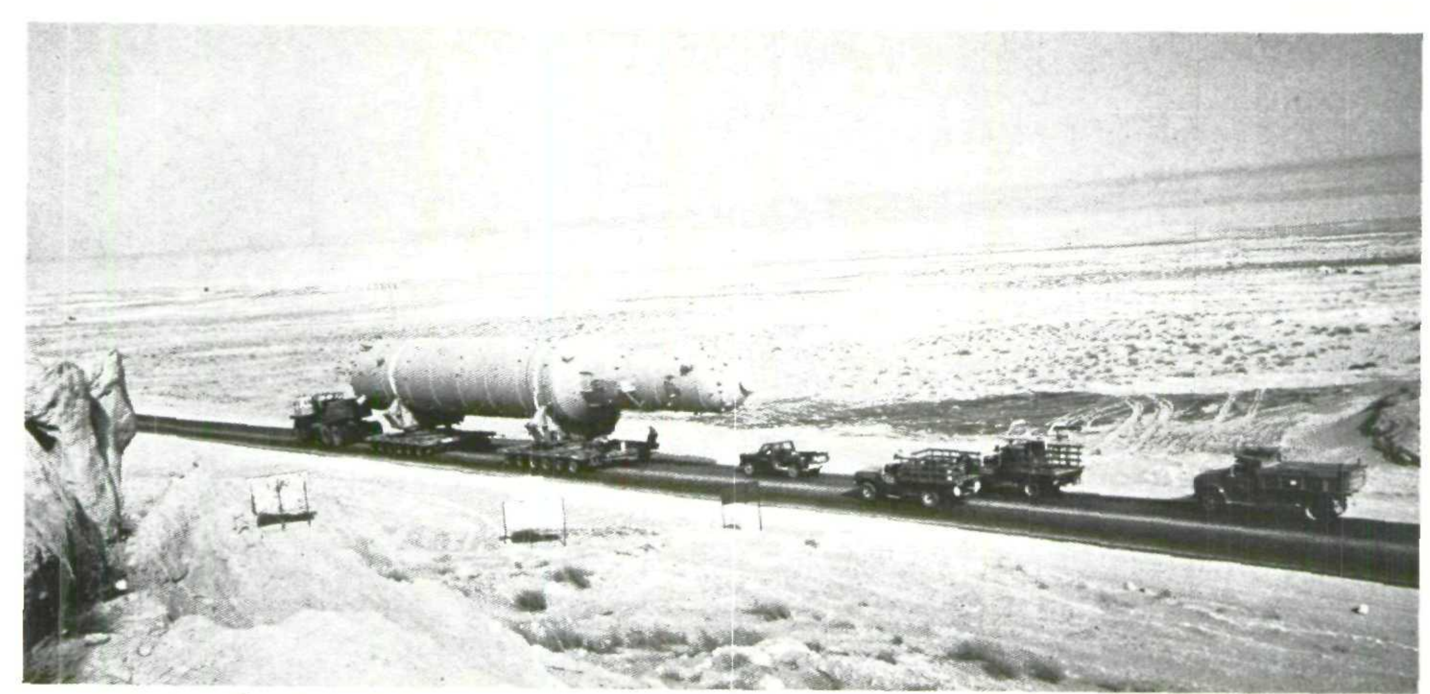
وفي مجال الحفر، تم حفر ما مجموعه ٢٥٥ بئراً جديدة لمختلف الأغراض، منها ١٠١ للانتاج و ١٠٩ للمحافظة على الضغط وتحديد الحقول والتقييم الاستكشافي. أما الخمس والأربعون الأخرى فقد حفرت للمراقبة ولتوفير الماء للحقن والاستهلاك.

وعلى صعيد التوسيعات والاضافات التي أدخلتها الشركة على المعامل والمعدات خلال العام، فقد تم اختبار عمود التركيز رقم — ١٧ الذي أضيف الى مجمع المعامل الجنوبية في بقيق فبلغت طاقته حوالي ١٠٠٠٠٠٠ برميل في اليوم، كما أضيفت مرافق رئيسية على مرحلتين الى محطة الضخ رقم — ٦ في بقيق بحيث أصبح مجموع طاقتها يربو على ٥ ملايين برميل في اليوم. وأعد أيضاً معملان جديدان من معامل فرز الغاز من الزيت للتشغيل، أحدهما في منطقة العثمانية والآخر في الحوية بالاضافة الى معمل ثالث في الحوية كان قد أوشك على الانتهاء في نهاية العام، ومعمل رابع يجري انشاؤه على بعد ١٢ كيلومتراً من الساحل في حقل السفانية المغمور.

وفي منطقة بقيق كان العمل ما زال مستمراً في انشاء معمل كبير لضغط الغاز وازالة الايثان منه، وفي مد خط أنابيب جديد لسوائل الغاز الطبيعي من بقيق الى رأس تنورة يبلغ طوله ١٠٠



فريق عمال على حوامة « هوفركرافت » يستعد لسحب كابل أجهزة تسجيل الاهتزازات أثناء اعمال التنقيب السيموغرافي في الخليج .



٩٦ اطاراً تحمل وعاء ضغط من قطعة واحدة وزنه ٥٠٠ طن إلى الموقع الذي سيركب فيه .

كيلومتر . وستزداد بذلك الطاقة على تصنيع سوائل الغاز الطبيعي بحوالي ٦٠ في المائة . ولمواجهة هذه الزيادة فقد بدىء في انشاء مرافق اضافية للتجزئة والمعالجة في معمل التكرير برأس تنورة .

وستضم مرافق سوائل الغاز الطبيعي في فرضة رأس تنورة معامل تبريد آلية اضافية وخزانين جديدين لسوائل الغاز الطبيعي المبرد تبلغ سعة كل منهما ٩٠٠٠٠٠ برميل بالاضافة الى خزان للنفثا تبلغ سعته ١٢٥٠٠٠٠ برميل . كما بوشر أيضاً في انشاء مرافق جديدة في البري ورأس تنورة لاستخلاص ما مجموعه ٥٤٠٠٠ برميل من سوائل الغاز الطبيعي يومياً . وجدير بالذكر أن هذه المرافق الجديدة ستوفر لمنطقة الجبيل الصناعية كمية من غاز الوقود الحلو الجاف قد تصل الى ٢٦٠٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب قياسي في اليوم .

ومن بين التوسعات الأخرى التي أجريت خلال العام ، انشاء عوامة إرساء ثالثة برباط مفرد وشبكة ثانية في فرضة الشحن في الجعيمة مما زاد طاقة التحميل في هذا المرفق الى ٢٠٠٠٠٠٠ برميل يومياً ، كذلك مد خط أنابيب ثان من ملتقى الخطوط في القطيف الى الجعيمة .

ومن ناحية أخرى ، أنجز معمل طاقته



عمال فنيون يشتغلون على قاعدة أحد أجهزة الحفر بين الروافع الثقيلة .

٧٥٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب في اليوم جنوبي العضيلية لمعالجة الغاز بثنائي القليكول ، ولاستخدامه في تحلية الغاز الطبيعي لاستعماله في مشروع استخراج الماء بدفع الغاز وحقنه في العثمانية والحوية . . ويضم هذا المشروع ست محطات لضغط الغاز . و ٣٨ نقطة لاستخراج الماء ، و ٤٢ موقعاً لحقن الماء العالي الملوحة في مكمن حقل الغوار لدفع الزيت الخام الى سطح الأرض . هذا بالاضافة الى مرافق جديدة أخرى تم انشاؤها خلال العام .

ولمواكبة أعمال التوسع والتحسين التي طرأت على المعامل فقد زادت أرامكو أسطولها البحري خلال العام من ٢٧ الى ٤٢ مركباً ، منها مركب مصمم خصيصاً لصيانة عوامات الارساء في الجعيمة ، كما أصبح أسطول أرامكو الجوي يضم ١٢ طائرة عادية و ٧ طائرات هليكوبتر مستأجرة .

## التخطيط

وفي شهر فبراير من عام ١٩٧٥ ، كلفت الحكومة العربية السعودية أرامكو بالقيام لحسابها بتخطيط وانشاء وتشغيل مشروع لتجميع ومعالجة الغاز المرافق المستخرج من مناطق أعمال أرامكو وبتطوير انتاج الغاز غير المرافق . . وسيكون

مشروع الغاز العربي السعودي هذا ، وهو من أكبر المشاريع الهندسية والانشائية في العالم ، بمثابة العمود الفقري لبرنامج التطوير الصناعي للمدى الطويل للمملكة . ومن المقرر انجاز أجزاء رئيسية من المشروع في عام ١٩٧٩ . . وسيكون هذا المشروع متكاملا مع مرافق الانتاج والشحن الحالية التابعة لأرامكو . كما تشارك أرامكو ، بتكليف من الحكومة وبالتعاون معها ، في تخطيط وتصميم وانشاء وتشغيل شبكة كهرباء موحدة جديدة توفر الطاقة بالجملة لقرى وبلدان المنطقة الشرقية وللصناعات الناشئة في في بلدة الجبيل التي اختارتها الحكومة لتكون المركز الرئيسي لبرنامج التصنيع الذي تنفذه في تلك المنطقة . وللمحافظة على مستوى الضغط في مكامن حقول الزيت ، بدىء العمل خلال العام في تنفيذ مشروع استعمال ماء البحر في منطقة شمالي العثمانية وذلك للتقليل من الاعتماد على المياه الجوفية ، وسيوفر هذا المشروع ٤٢٠٠٠٠٠ برميل في اليوم من ماء البحر المعالج للحقن .



عداد وصف دقيق لخصائص عينات الصخور ضروري لحسن سير العمل .

ساهم الطب الوقائي بطرق عديدة في رفع مستوى الصحة العامة في المنطقة الشرقية .

# أرامكو وموظفوها

بلغ مجموع موظفي أرامكو العاملين في المملكة العربية السعودية في نهاية العام ١٩٠١٢ موظفاً ، منهم ١٤٥٢٨ سعوديون . وقد التحق بخدمة الشركة خلال العام ٢٤٤٦ موظفاً سعودياً ، أي بزيادة ٣٩ في المائة على عدد الذين التحقوا في العام السابق . وقد شغل الموظفون السعوديون ٤٦ في المائة من جميع الوظائف الرئاسية في الشركة البالغ عددها ٩٦٨ .

وفي مجال التدريب بلغ عدد الموظفين السعوديين الذين التحقوا بمراكز التدريب الصناعي وورش التدريب الصناعي للتعليم المدرسي والحرفي حوالي ٥٥٠٠ موظف ، منهم ٣٠٣٧ تفرغوا لبرنامج التدريب الصناعي الذي يتلقى الموظفون الجدد بموجبه التدريب الأساسي المدرسي والحرفي ، واشترك ١١٦٥ موظفاً ، أغلبهم من السعوديين ، في دورة أو أكثر من ٣٧ دورة تدريبية أثناء العمل نظمتها أرامكو خلال العام . كما اشترك خلال العام ٥٨٠ موظفاً في دورات ضمن نطاق التدريب على الادارة .

ومن ناحية أخرى بدأ ٩٠ موظفاً سعودياً يتلقون التدريب في القاهرة على أعمال تكييف الهواء والتبريد في دورة مدتها تسعة أشهر . كما اشترك حوالي ١٢٠٠ موظف ينتمون الى ٣٢ ادارة في دورات خاصة تهيئها أرامكو للموظفين الفنيين والمهنيين ، بالاضافة الى حوالي ١٠٦ آخرين تلقوا دروساً بالمراسلة أو حضروا دورات أو حلقات دراسية أو مؤتمرات في معاهد ومؤسسات داخل المملكة وخارجها .

وفي نهاية العام كان ٣٨٣ موظفاً سعودياً يتلقون الدراسة في معاهد تعليمية في المملكة وخارجها . وقد تخرج منهم تسعة بدرجة بكالوريوس وواحد بدرجة ماجستير ، كما أكمل ثلاثة منهم سنتين من التدريب الخاص ، و ١٥ آخرون دورات تدريبية قصيرة . هذا بالاضافة الى



مركز الآلات الالكترونية في أرامكو يضم ذاكرة ذات طاقة كبيرة ، وتساهم ١٨٤ محطة اتصال من بعيد في تيسير استعمالها لجميع مجالات نشاط الشركة التي لم تزود بآلات حاسبة خاصة .



تساعد معدات السلامة وطرق التشغيل المأمونة على الاسراع في تدفق الزيت .



من هذه الغرفة في الجعيمة يتم التحكم في تدفق الزيت الخام إلى عوامات الارساء ومنها الناقلات المنتظرة .

١٣٩ موظفاً كانوا يتلقون دراسات في كليات وجامعات في الولايات المتحدة و ٢٥ في جامعة البترول والمعادن في الظهران ، واثنان في جامعة الرياض . وقد ارتفع عدد المشتركين في برنامج التدريب العالي بنسبة ٧٦ بالمائة على ما كان عليه في العام السابق .

كذلك نظمت أرامكو برامج حرفية لتدريب عمال المقاولين السعوديين المتعاقدين مع الشركة ، وقامت بادارتها والاشراف عليها . وقد تم خلال العام تدريب ١٨ عاملا على تشكيل الألواح المعدنية و ١٩ على تركيب الأنابيب و ٢١ على تشحيم المعدات و ١١٩ على تشغيل المعدات الثقيلة بالاضافة الى ١٨٦ لحاماً معتمداً .

وبلغ مجموع ما أنفقته الشركة على برامج العوائد للموظفين السعوديين خلال العام



ثماني وحدات من الدوامات التي تعمل بالغاز في محطة توليد الكهرباء في العثمانية تولد ٢٨٦ ميقاواط من الطاقة الكهربائية .

٢٩٦٨٩٩٤٣٥ ريالا ، ويشمل هذا المبلغ ما دفعته الشركة كمكافآت في حالات التقاعد والاقعاد الدائم وانهاء الخدمة ، ومكافآت على المدخرات والخدمة المستمرة ،وما أنفقته ضمن برنامج العناية الطبية والوقاية الصحية .

وبلغ مجموع الموظفين السعوديين الذين تملكوا بيوتاً بقروض من الشركة بموجب برنامج تملك البيوت خلال العام ٢٢٨ موظفاً ، فارتفع بذلك عدد الذين تملكوا بيوتاً بموجب هذا البرنامج منذ بدء تنفيذه في عام ١٩٥١ حتى نهاية العام الى أكثر من ٨٦٠٠ موظف . كما بلغ مجموع القروض الممنوحة وفق هذا البرنامج ما يزيد على ٣٣١٣٥٠٠٠٠ ريال ، بالاضافة الى ١٠٥٧٥٠٠٠ ريال أنفقتها الشركة خـــلال العام على مشاريع عمرانية وتحسينية في مناطق تملك البيوت .

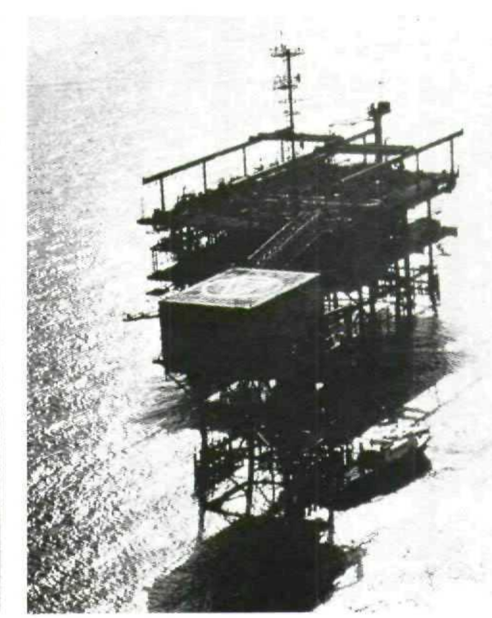
أما في مجال الخدمات الطبية التي تقدمها الشركة لموظفيها وأفراد عائلاتهم ، فقد بلغ مجموع الزيارات التي قام بها هؤلاء للعيادات الطبية خلال العام ٥٥٤٠٠٠ زيارة . وفرغت الشركة من وضع التصاميم الرامية لتوسيع مرافق المركز الصحي في الظهران لتصبح طاقة المستشفى ١٦٠ سريراً بدلا من ١١٠ أسِرّة ، ولانشاء عيادة جديدة لطب الأسنان وجلب معدات حديثة لتشخيص الحالات المرضية المعقدة ومعالجتها .

## ارامكو والمجتمع

أنفقت الشركة وموظفوها الأجانب في المملكة العربية السعودية خلال العام ما مجموعه ٤٠٦٦٧٢٩٠٥٠ ريالا وذلك اضافة الى ما دفعته الى الحكومة من ضرائب وريوع . وبلغ عدد المقاولات الكبيرة التي عهدت بها أرامكو الى



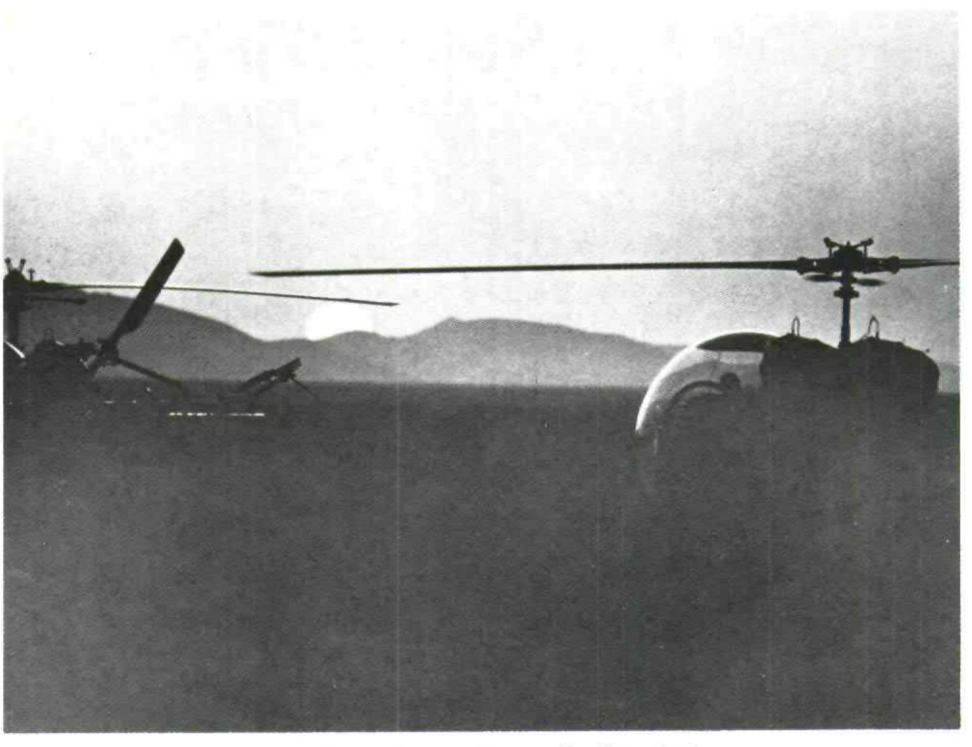
اثنان من قوارب ارامكو يدفعان ناقلة زيت إلى مرساها بمحاذاة الرصيف تمهيداً لتحميلها .



معمل لفرز الغاز من الزيت في المنطقة المغمورة يلقي ظلالا واضحة على مياه الخليج .



معالي الدكتور عبد الهادي حسن طاهر ، محافظ مؤسسة البترول والمعادن وعضو مجلس ادارة ارامكو ، يرافقه أعضاء اللجنة التنفيذية في ارامكو أثناء جولة في مرافق الشركة في بقيق .



طائرات هليكوبتر تستعد للاقلاع عند شروق الشمس .

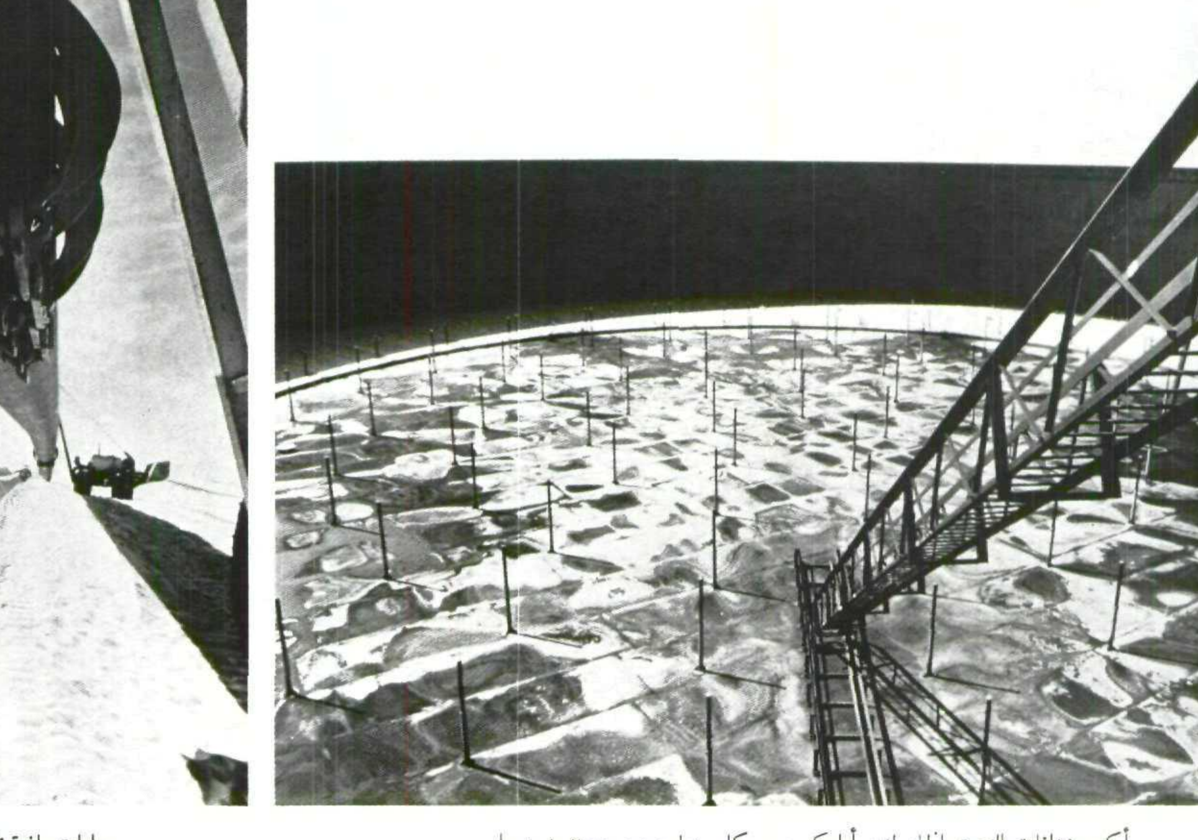
مقاولين سعوديين للقيام بأعمال الانشاء وتقديم الخدمات الأخرى حوالي ٤٠٠ مقاولة بلغت قيمتها ٨٨١٢٥٠٠٠٠ ريال أي بزيادة ٢٢٩١٢٥٠٠٠ ريال على ما دفعته في العام السابق . هذا بالاضافة الى ١٥٠٠٠ مقاولة صغيرة أخرى عهد بها أيضاً الى مؤسسات أو تجار محليين .

ومن ناحية أخرى فقد ازدادت مشتريات أرامكو من المواد التي تخزن في مستودعات المورّدين المحليين بحيث بلغت قيمتها حوالي ٢٥٠٢٧٥٠٠٠٠ ريال .

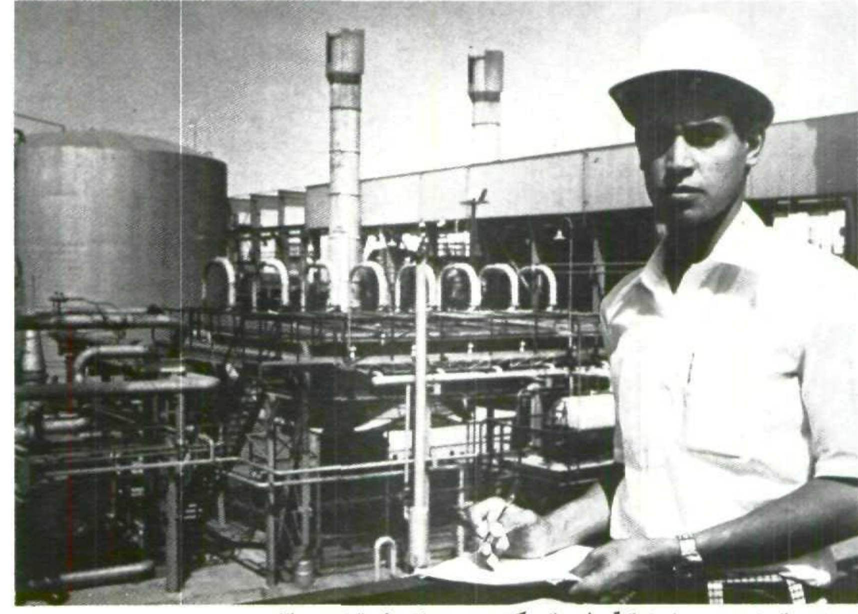
وفي مجال التنمية الصناعية المحلية ، واصلت أرامكو تقديم المساعدات الفنية الى حوالي ٧٥ من مؤسسات الأعمال السعودية شملت تقديم المعلومات اللازمة عن الانتاج بالنسبة لأصناف عديدة من المنتجات الصناعية والانشائية



جرارات رافعة تنزل أنبوبا في خندق رملي .



أكبر خزانات الزيت الخام لدى أرامكو يسع كل منها ١٢٥٠٠٠٠ برميل .



برنامج التعاون بين جامعة البترول والشركة يفسح المجال للطلاب الذين سيصبحون مهندسي وفنيي المستقبل في المملكة للحصول على الخبرة بالعمل .

والاستهلاكية . ومن بين هذه المؤسسات معمل للألبان قيد التوسيع ومخبز جديد ومصنع لمكيفات الهواء هو الأول من نوعه في المملكة .

وعلى صعيد المساعدات الزراعية ، فقد واصل المزارعون ومربو الدواجن في المنطقة الشرقية الاستفادة من خبرة أرامكو الفنية من خلال برنامج المساعدات الزراعية . ونتيجة لذلك ارتفع الانتاج من الخضر خلال العام الى ٩٦٠٠٠٠٠ كيلوغرام ، كما زاد انتاج البيض بنسبة ١٨ في المائة على ما كان عليه في العام السابق ، ودجاج الشواء بنسبة ٣٦ في المائة .




الناقلة **قلوبتك طوكيو** تعبىء حمولة من الزيت الخام عند احدى عوامات الارساء في الجعيمة .

ومن جهة أخرى ، فقد حقق تعاون عدد من المزارعين مع أرامكو في برنامج التجارب لانتاج أنواع جديدة من المحاصيل ، حقق نجاحاً ملحوظاً في زراعة البطاطس والبصل الجاف والبروكولي والفراولة ، كما ساعد على احراز مزيد من التقدم في تجارب الشمندر السكري .

وعلى صعيد التبرعات ، بلغ مجموع ما تبرعت به أرامكو لأغراض تعليمية وخيرية وانسانية خلال العام نحو ١٤٤٥٠٠٠٠ ريال ، وتشمل هذه التبرعات جامعة البترول والمعادن وجامعة الملك عبد العزيز ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة لأغراض تعليمية ومختلف المدارس والمكتبات ومنظمات الشباب والجمعيات الخيرية في المملكة . كما واصلت أرامكو تقديم ٦٠ منحة دراسية للتعليم العالي خارج المملكة لطلاب وطالبات سعوديين تختارهم الحكومة . وقد بلغ مجموع ما أنفقته الشركة على هذه المنح حتى نهاية العام ١٥٩٠٠٠٠ ريال .

وبنت أرامكو المدرسة الثالثة والخمسين والرابعة والخمسين من المدارس التي أنشأتها خلال الواحد والعشرين عاماً الماضية .

وتقوم الشركة بموجب اتفاقية مع الحكومة العربية السعودية ، بادارة المدارس التي بنتها ودفع تكاليف تشغيلها وصيانتها . وقد بلغ مجموع ما أنفقته الشركة على هذا البرنامج منذ بدئه حتى نهاية العام حوالي ٢٧٨٤٧٥٠٠٠ ريال ●

قصة

# عيناها

بقلم: السيدة جاذبية صدقي



## أهلي

معروفون بالجد والصرامة . وعندما أقول أهلي أعني ست أخوات وثلاثة اخوة ، ليس لي في الدنيا غيرهم ، ماتت عنا أمنا وأبونا وتزوجنا كلنا ، وباعدت بيننا الايام ، لكنها لم تفرقنا . . فقد استن أخي الأكبر سنة نسير عليها لا نحيد عنها منذ ماتت أمنا . . آخر خيط يربطنا بعضنا إلى بعض . . ففي منتصف كل شهر يقيم لنا أخي حفل غداء في بيت أمي ، حيث يعيش وحيث ولدنا وتربينا كلنا ، البيت الكبير « كما ندعوه دائماً » .

فما ان تقترب الساعة من العاشرة في ذلك اليوم حتى نتوافد على « البيت الكبير » كل واحد وواحدة منا تسحب وراءها أولادها ، وزوجها ، وتحمل صنفاً من الطعام طهته بيديها وتشترك به في الحفل .

ونلتقي معاً في لهفة وشوق ، وتعلو صيحاتنا فرحة نشوانة بهذا اللقاء العائلي ، ويصم حديثنا الآذان ، وكل واحدة تحكي لأختها أحوالها ، وأحوال جاراتها .

ويقف صاحب البيت ، أخي ، تعلو البسمات شفتيه يرحب بنا ، وبأزواجنا وأولادنا .

وعندما يحين موعد الغداء يخيم علينا سكون عميق ، فلا يسمع الا رنين الأشواك على الصحون ، ونأكل حتى نمتليء ، ونضحك حتى نسعد بحق ، ونحكي كل ما حدث لنا وما نظنه سيحدث . ونبقى كذلك حتى يصفق أخي ، صاحب الدعوة ، يدعونا كلنا ، كباراً وصغاراً ، إلى الاجتماع في الردهة الواسعة كما اعتدنا ان نفعل .

وعندما يجتمع شملنا يدير أخي آلة التسجيل ويبدأ البرنامج ، فمن كان منا صوته جميلاً يغني أغنية ، ومن كانت تجيد العزف على « البيانو » تؤدي دورها ، ومن كان من الصغار يحفظ مقطوعة شعر يلقيها ، وهكذا .

أما اذا كان قد حدثت مناسبة سعيدة ، كزواج أو ولادة ، في أسرتنا خلال الشهر فإن أخي يذيع النبأ في أول شريط التسجيل ، للذكرى .

وفي احدى حفلات « يوم ١٥ » وخلال البرنامج الموسيقي الغنائي ، تقدم ليساهم بنصيب فيه ابن أخت لي شاب طويل عريض ووسيم ، ضابط في الجيش ، وهو طبيب عرفت عنه الدقة وغزارة العلم ، من يراه يظنه يعيش في دنيا من عقاقير وآلات وقطن معقم يسد أذنيه ، لكنه في حقيقته كتلة أعصاب يكسوها لحم وعظام .

و « دكتور حميد » فوق ذلك ، زوج وأب لثلاثة أولاد تناطح رؤسهم كتفيه ، فزادته المسئولية تجهماً وانطواء على نفسه . وقد اشتهر بروعة عزفه على « البيانو » الذي أتقنه منذ السن السابعة . فلما نهض ووجهته « البيانو » الكبير في ركن الردهة صفقنا له طويلا وقد ظنناه سيتحفنا بإحدى المقطوعات الموسيقية يشنف بها آذاننا . لكنه هز رأسه وقال :

— « لا . . بل سأسمعكم لحناً من تأليفي . . لحناً يتيماً . . لم أؤلف . ولن أؤلف سواه ! »

وأطرق مسرعاً يعض شفته ويجري بأصابعه الرشيقة على مفاتيح « البيانو » في لمسات تهز الروح من أعماقها .

فلما صاح أحدنا متسائلا :

— « والاسم . . اسم اللحن ؟ »

توقف العزف فجأة ، وساد الصمت ، وحملقنا في « الدكتور حميد » وهو يغمغم :

— « عيناها . . عيناها ! » .

وداری زفرة كادت تبلغنا . . في ضربات قوية سريعة لأنغام رنانة .

أما أنا فتعلقت عيناي ، بإبن أختي ، ماذا هناك ؟ . . أيمكن !

ارتميت في مقعد بعيـد غصت فيه منزوية ، وركنت رأسي الى مسند واغمضت عيني ، فذكرتني تلك الحركة باللحن . . « عيناها . . عيناها » من هي ؟

تململت في جلستي ، قلقة حيرى . . حكاية حب ، لا شك ، دفين ، وأنا لا أعرفها ؟ كيف أسكت ؟

لم يكن من عادة أهلي رغم كثرة أحاديثنا وحكاياتنا أن نخوض في سِيَر القلوب . . كنا نعرف من شيئين بعضنا بعضاً ما هو ظاهر وحاصل . أما خفايا النفوس ، فكان موضوعاً دائماً مرهوباً غامضاً تشيح عنه الوجوه ، وتلوح الأيدي تصرفه ، كأنه ذبابة ، فلم يكن لي أمل أن أعرف أو أكشف السر الا متابعة اللحن ، بمسايرة النغمات الثائرة حيناً كالأمواج تهدر وتصم الأسماع ، ثم تغرغر رقراقة وتنسل رقيقة كضحكات ناعمة هانئة !

. . بكيت والله في ركني المنزوي ، دون أن يلمحني أحـد . . مسكين أنت يا ابن أختي . . أمررت بكل ذلك الألم ؟ أعرفت كل ذلك الشجن ؟

وفجأة ، تسللت اليّ النغمات ، امتزجت بها كالنسمة العذبة ، أغنية صعيدية قديمة .

فقفزت من مقعدي أصيح بلا تروٍ كالعالم الطبيعي الذي عثر على نظرية جديدة :

— « وجدتها . . وجدتها ! »

فالتفت اليّ الجميع مذهولين ، فلم ارتبك ، وتابعني جميع من في الردهة بتصفيق حاد متصل ، انتهزت أنا فرصته وأسرعت الى « البيانو » وملت على « الدكتور حميد » أهمس في تساؤل :

— « أسوان ؟ » .

فرفع وجهه اليّ ثم غض بصره وتمتم :

— « أسوان ! » .

فتنهدت من أعماقي بارتياح وتقهقرت بخفة الى مقعدي المنزوي .

كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً وقد خرجت أسرتنا التي كانت تستشتي في الصعيد لرحلة في قارب بخاري يمخر بنا « النيل » من « أسوان » الى « وادي حلفا » وكنا في ذلك الوقت صبايا وصبياناً ، نلهو بقلب خال . وكنت و « الدكتور حميد » ابن أختي الكبرى نتقارب في العمر ، وأعتز بصداقته ، ويقدرني ويتحدث معي كثيراً ، ونتناول الآراء نحو الموسيقى التي نعشقها ، والرسم الذي نهواه ، والكتابة التي نحبو على أولى درجاتها . . كلانا !

وذات فجر ، والضباب منخفض على صفحة الماء تدفعه الريح فيتخذ أشكالا كالأشباح سمعت تصايح بحارة قارب فهرعت خارجة وتسللت الى البهو الضيق أنظر من إحدى نوافذه الصغيرة المستديرة .

فتبينت في ضوء الشفق المبكر ، مركب صيد وقف فوقها رجل وصبي مرفوعي الرأس ، عاريي الصدر ، وأمسكت بالدفة صبية قبعت عندها بسمرتها المتوهجة ، يداعب شعرها هواء ، وهي في جلستها كحورية من الغجر ، لم تكن سنها تتجاوز العاشرة . . ومع ذلك بدت ناضجة الحركات ، قليلة اللفتات رزينة ، غامضة ، تسدل جفنيها فيبدو فوق خديها خطان كثيفان في حلكة الليل هما . . أهدابها . .

وقد وقف أبوها وأخوها يلوحان لنا بسمك كبير أمسكا به من خياشيمه وراح يضرب الهواء بأذياله الفضية ، فخرج اليهما الطاهي واشترى لغدائنا ملء قفة ونقدهما الثمن .

وكنت ما زلت في وقفتي ، فشعرت بمن يقف وراء ظهري . وعندما استدرت بسرعة ورأيت « الدكتور حميد » وكان في تلك الأيام فتى غزير الشعر ، أشقر ، حالم النظرات .

فهمس بصوته الهادىء :

— « هل تسمحين لي أن أنظر بعض الوقت ؟ » .

فأسرعتُ أبتعد عن النافذة وأفسحت له مكاناً .

وكان الصياد وابنه قد جدفا حتى التصق قاربهما بقاربنا البخاري الكبير . وذهلتُ عندما وجدت الطاهي ينقدهما نصف جنيه ثمناً لما يزيد على عشر اقات من السمك الطازج الرائع ، فتدخلت بينهما بحماسة سن الحلم ، وتوعدت الطاهي بأن أشكوه « للكبار » .

فاستدار الي الصياد العجوز وابتسم . . وهو يلوح بنصف الجنيه :

— « هذا خير كثير يا بنتي . . لا عليك . . ربنا يكتب لك السعد .

السمك هنا وافر . . ورخيص ! »

فقلت بإصرار وأنا أتخيل نفسي بطلة إحدى الأساطير :

— « أنتظر اذن . . حتى نعطيك شيئاً لأولادك ! » .

واستدرت أتراجع من النافذة وفي نيتي أن أفرغ صحن الفاكهة لهم ، وأملأ راحتي من علبة الحلوى الموضوعة فوق المائدة .

فوجدت ابن أختي عند مرفقي ، وقد تسمرت نظرته على الفتاة الصغيرة ، فوخزته بمكر وأنا أقول :

— « أ أعجبتك ؟ » .

وركضت لشأني وعدت أحمل الفاكهة والملبس ، فأخذ الفتى مني برتقالة ومال من النافذة يصيح :

— « أنت . . أنت . . خذي مني . . ألقطي ! » .

فرفّت الأهداب الثقال عن عينين واسعتين جذابتين كأنما تستيقظ صاحبتهما على الفور من نوم . .

والتقطت أذناي شهقة ابن أختي . فعذرته ، لقد شهقت أنا نفسي من روعة الجمال الذي أمامي .

وكانت البنت تبتسم ووجهها مرفوع الينا .

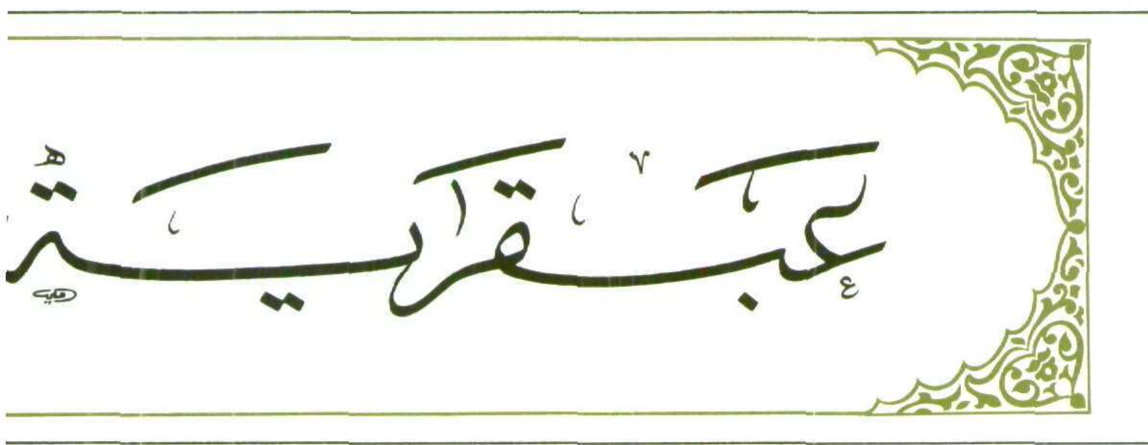
فصاح ابن أختي بها مرة ثانية :

— « خذي . . خذي مني هذه البرتقالة ! »

فمدت ذراعها وهي لا تزال تبتسم ، وان ارتعشت شفتاها ، مدت ذراعها لآخرها وراحت بيدها تتحسس الفضاء يميناً وشمالا . .

نعم . . لقد كانت عمياء ! ●

**جاذبية صدقي ـ القاهرة**




قَدَرَ لأبي الأسود الدؤلي ان يصاحب الدعوة الاسلامية في ظهورها ، وأن يراها وهي تخرج من الجزيرة العربية هنا وهناك ، فتأوي اليها أقطار ، وتدخل فيها أمم .

وقد توفر له أن يكون إمام النحاة ، ورأس الطبقة الأولى من علماء « البصرة » وله فضل التقـدم على سائر النحاة في كل مكـان وزمان .

وهو من سادات التابعين ، ووجوههم وفقهائهم ، ومحدثيهم ، وقد كان حاضر البديهة سريع الجواب ، ثاقب البصيرة ، صحيح الحكم ، ذا عبقرية فذة وعقل راجح . تعلم السريانية واتقنها ، وتلقى الكثير من علوم السريان ومعارفهم ،- في مدارسهم بالرها ، وقنسرين ، ونصيبين .

وأبو الأسود حقيق ان يكوّن للاسلام كتاباً جامعاً ، ولأحداث الأمة سجلاً حافلاً ، في حقبة تعد بحق أعظم حقب تاريخه الطويل .

كان رجلاً جاداً ، وعاملاً دؤوباً ، جم النشاط ، موفور الحيوية ، ماضي الارادة ، يقول :

**وما طلب المعيشة بالتمني**
**ولكن الق دلوك في الـدلاء**
**تجئك بملئهـا يومـاً ويومـاً**
**تجيء بحمـأة وقليل مـاء (١)**

وكان لا يكف عن الخروج على كبره ، وضعف قوته ، وعجزه عن المشي ، فكان يركب إلى المسجد ليصلي ، وإلى السوق ليبتاع ، وإلى الأصدقاء فيزورهم على المعتاد من أمره . فأشفق عليه يوماً بعض من له صلة به . فقال له يا أبا الأسود : أراك تكثر الركوب ، وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمت دارك ، كان أودع لك . فقال أبو الأسود : صدقت ، ولكن الركوب يشد أعضائي ، وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه في بيتي ، واستنشق الريح ، والقى اخواني ، ولو جلست في بيتي ، لاغتم بي الأهل ، وأنس بي الصبي ، واجترأ علي الخادم ، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي . وقد لبث ابو الأسود في مكة زهاء ثلاثين سنة ، وكانت مكة هي المدينة الأولى في الجزيرة العربية ، تنفر اليها قبائل العرب للحج ، وتنزل فيها ، أو تمر بها قوافل التجارة غدواً ورواحاً .

ولكل قبيلة لهجة متميزة ، تخالف لهجات غيرها في الأداء ، وفي قليل او كثير من الألفاظ ، وحركات البنية والاعراب .

وقد سمع أبو الأسود من ذلك ما سمع ، وأخذ منه ما أخذ ، فكان مثله كمثل الذي رحل إلى القبائل ، فألم بها وشافهها في ديارها .

ولما رحل إلى المدينة ، لقي فيها جمعاً من الصحابة ، وأتيح له أن يأخذ عن طائفة من اولي المزية وأهل السابقة فيهم .

فقد روى عن عمر بن الخطاب ، وقرأ على عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وناهيك بثلاثتهم قراءة للقرآن ، وتفقهاً في الدين ، ورواية للحديث ، واقتداء بهدى الرسول . وروى عن معاذ بن جبل ، وكان من افقه الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام ، وروى عن أبيّ بن كعب ، سيد القراء ، وأول من كتب للنبي، صلى الله عليه وسلم .

وان امرأ يجتمع له كل ما اجتمع لأبي الأسود ، من مواهب وملكات ، ويواتيه كل ما واتاه من فرص التلقي والأخذ ، لا بد وان يتوفر له لأن يكون : قارئاً ، محدثاً ، فقيهاً ، نحوياً ، عالماً بلغات العرب ، شاعراً ، راوياً للشعر ، بصيراً بنقده . ولهذا كان لأبي الأسود الدؤلي ، المتوفى سنة ٦٩هـ ، صنيعان جليلان يشهدان له بالعبقرية ، ويرفعانه إلى مكانة الرواد . وهذان الصنيعان هما : وضع النحو ، وضبط القرآن الكريم .

والنحو : بمعناه الحقيقي طبيعي على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه ، لأن الانسان يتعلم النحو ، وهو يتعلم النطق ، اذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره . أما إذا أراد أن يتعلم لساناً غير لسانه ، فدرس قواعد النحو ،

(١) حماة : الحجارة والتراب

# أبو الأسود الدؤلي

بقلم: السيدة فتحية محمد توفيق

يسهل عليه تناوله، ولذلك فالأمة قد تقضي قروناً متطاولة، وهي تتكلم وتخطب وتنظم الشعر، قبل ان تدون قواعد النحو، وتجعله علماً.

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والأدباء والفلاسفة، قبل تدوين قواعد النحو على لسانهم. فنظم: (هوميروس) الياذته، وهو لم يتعلم قواعد النحو، فلم يضره ذلك شيئاً، لأن اللغة كانت ملكة فيه.

وكذلك الرومان، نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والأدباء، قبل تدوين النحو.

وهكذا العرب، فقد نظموا الشعر، وألقوا الخطب، وتناشدوا، وتراسلوا، قبل تدوين النحو، لأن ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم.

وشاء الله ان تمصر البصرة قبل الكوفة، وأن تكون أقرب منها إلى فارس فينفر اليها كثير من العرب، وغير العرب، ويعيشوا فيها، كما يعيش أبناء الوطن الواحد، من أصول مختلفة، تجمعهم أواصره، وتدعوهم دواعي الحياة فيه إلى التفاهم والمعاملة، في حدود ما تأذن به الظروف الماثلة، والأحوال الملابسة اذ ذاك.

وهيهات أن يتم تفاهم، أو تتيسر معاملة بغير الخطاب والتعبير، فلم يكن بد لهذه الاخلاط المختلفة، من اتخاذ لغة مشتركة إلى جانب لغاتها المتعددة. فكانت العربية هي هذه اللغة، لأنها كانت لغة الدولة القائمة، ولسانها الرسمي. ولكن أنى لغير العرب أن يتقنوها كما تتقنها العرب، وهي ليست لغتهم، ولا هي من لغاتهم في شيء، ثم انهم بعد حديثو عهد بها.

لهذا أصبحت العربية عربيتين: فصيحة نقية، يصطنعها العرب الخلص، ومحرفة مشوبة، يتكلم بها المستعربون في الحياة العامة، كل على مقدار ما تيسر له. ولهذا يمكن أن يقال: ان محنة العربية في «البصرة» كانت أشد منها في الكوفة، اذ كان اللحن اليها أسبق، وفيها أشيع، وكانت محنتها في البلاد المفتوحة أشد منها في البصرة والكوفة. ولم يكن اللحن على لسان المستعربين وحدهم، بل أصاب لسان العرب معهم شيء من ذلك. ولهذا اضطر العرب إلى ضبط قواعد اللغة العربية، وتدوينها بأسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان، وذلك التماساً للدقة في ضبط معاني القرآن. فلم يمض على قيام الدولة الاسلامية نصف قرن حتى شعر المسلمون بالحاجة إلى النحو، وضبط قواعده. وقد كان استعجال العرب في تدوين النحو، تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين الاسلامي، لأن الفتوح دعت إلى الاختلاط بمن لا يعرفون العربية. والاختلاط دعا إلى اضطراب الألسن. فأصبح الناس يهملون الاعراب. والعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو، كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض. وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم، حتى كانت الفتوحات. ويرى بعض الباحثين ان ضبط القرآن، كان الخطوة الأولى التي خطاها أبو الأسود في طريقه إلى وضع النحو. ولكن عهدنا بالمسلمين الأولين، ألا يسبقوا الزمن في علاج ما يعرض لهم من مشكلات، ولكنهم يعالجون كل مشكلة في أوانهاالمقدور. وما ينبغي ان يرجى منهم غير ذلك، فكل شيء من حولهم جديد أو يكاد. والمشكلات تتوالى تباعاً، ومشكلات الساعة وحدها حقيقة ان تشغل بالهم وتلفتهم عن النظر فيما يليها من مشكلات، وعلى هذا السنن مضوا في جمع القرآن، وتدوين الدواوين، ووضع التاريخ الهجري، ونسخ المصاحف وارسالها إلى الأمصار. والمعروف ان اللحن سبق إلى اللغة، وأخذ يستفحل فيها على الأيام. ومما ذكر، ان ابا الأسود دخل على ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشد الحر «برفع الدال في أشد، وكسر راء الحر» فظن انها تستفهم منه: اي زمان الحر أشد، بينما هي قصدت التعجب فلحنت.

فقال لها: يا بنية شهر ناجر.

فقالت: يا أبت انما أخبرك ولم أسألك.

فقال : إنا لله ، فسدت ألسنةُ اولادنا ، ودخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ، وأوشكت إن تطاول عليها زمان أن تضمحل .

فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره خبر ابنته فأمره ان يشتري صحفاً ، وأملى عليه : الكلام كله لا يخرج عن ( اسم وفعل وحرف ) جاء لمعنى . ثم رسم اصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها . وقد خيف ان يتطرق اللحن إلى القرآن كما تطرق إلى النحو ، وان يغير من ترتيله كما غير من ادائها . ولهذا كانت الحاجة إلى النحو أسبق من الحاجة إلى ضبط القرآن . ولأن سبيل الناس إلى تحصيل القرآن غير تحصيلهم إلى تحصيل اللغة ، وهم للقرآن اضبط ، وعلى صحة أدائه واتقانه أحرص .

لكن ماذا عسى ان تكون الخطوة الأولى في سبيل النحو ، اذا لم يكن بد من ان تكون ثمة خطوات بعضها سابق وبعضها لاحق .

**الأشك** ان الخطوة الاولى لم تكن في البصرة ، بل في مكة ، اذ كان ابو الاسود يسمع القبائل الوافدة اليها ، وهي تتحدث بلهجاتها المختلفة ، وعلى طرائقها المتعددة . فان رجلاً يرزق مثل ما رزق ابو الاسود من ملكة ، ويؤتى مثل ما اوتي من حسن ذكاء ، حقيق ان يثير اختلاف اللهجات انتباهه ، ويدعوه إلى النظر فيها ، وملاحظة الفروق في البنية والاعراب . ويبدو ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، قد انس من ابي الاسود هذه المزية ، فأشخصه إلى البصرة لذلك . ووكل اليه أن يعلم فيها الاعراب .

أما الخطوة الثانية فكانت بالبصرة ، حين أخذ يعلم الناس ما أمر بتعليمهم اياه من الاعراب ، ويمكن ان يقال ان ابا الاسود بتعليم الاعراب قد انتقل من مرحلة النظر والملاحظة إلى مرحلة التفكير والمحاولة .

والاعراب هو الابانة بالتعبير ، ولا تكون الابانة على وجهها الصحيح ، ما لم تكن بلغة قويمة .

واللحن — الذي جاء الاعراب لاصلاحه — هو في رأي القدماء يطلق على خطأ يصيب العبارة في نظمها او يصيب الكلمات في اشتقاقها ، او حركات اعرابها ، أو موضع استعمالها . وأخذ أبو الأسود ، يصلح ما في العبارات والمفردات من عوج ، حتى تكون آخذة على سمت العربية في نمطها القويم .

أما الخطوة الثالثة على طريق النحو ، فكانت تلك التي انتهى اليها ابو الاسود الا وهي وضع ما وضع من مسائل وأوليات الأصول اللغوية . على ان ما وضعه ابو الأسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة ، فعمد إلى ضبطها بعلامات ، يتميز بها المنصوب من المرفوع ، او الاسم من الفعل ، فوضع علامات تدل على الرفع والنصب والجر ، وعلامات تميز الاسم من الفعل . وأقبل الناس بالبصرة على أبي الأسود ، يأخذون النحو عنه ، ومنهم ابنه عطاء ، وقد تولى شرطة ابيه ، حين كان والياً على البصرة . ومنهم نصر بن عاصم الليثي ، وكان فقيهاً وعالماً بالعربية ، توفي سنة ٩٠هـ ، ومنهم عنبسة الفيل ، وكان ابرع من أخذ عنه . ويحيى بن يعمر ، وكان فقيهاً نحوياً أديباً توفي سنة ١٢٩هـ ، ومن هؤلاء وغيرهم من رجال هذه الطبقة ، أخذ الناس النحو ، طبقة بعد طبقة ، على تعاقب الزمان ، حتى بلغ شأوه المقدور من النمو والاكتمال .

**والعمل** الثاني لأبي الأسود الدؤلي هو : ضبط القرآن الكريم ، لأن المسلمين أشفقوا على القرآن من أن يصيبه مثل ما أصاب اللغة من اللحن والتحريف ، بعد ما اشتد اختلاط العرب بالناس ، وأخذ هذا الاختلاط يعمل عمله في شؤون الحياة ، لكن هذا العمل كان إلى اللغة أسبق ، وكان أثره فيها أظهر . ويبدو ان القرآن كان بمنأى عن اللحن الا أنه كان يخشى مع ازدياد اللحن على مر الأيام ، ان يتطرق إلى القرآن ، كما تطرق إلى اللغة . لذلك بادر أبو الأسود إلى اللغة ، فوضع لها النحو ، صيانة لها ، وحفظاً للألسنة من اللحن فيها . وبمجرد توقع اللحن ان يتطرق إلى القرآن ، كان كافياً أن يستفز أبا الأسود ويحفزه إلى ضبطه ، ولا سيما بعد ما فشا اللحن ، واشتد خطره .

والرواة يذكرون على التعيين ، اللحنة التي لم يجد أبو الأسود معها بداً من أن يعمل على صيانة القرآن كما عمل على صيانة اللغة .

ويذكر الرواة ان هذه اللحنة كانت في قراءة « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بجر لام رسوله .

وأياً ما تكن الحقيقة ، فان أبا الأسود ، حين أراد ضبط القرآن ، ذهب إلى « زياد » فقال له : ابغني كاتباً لقناً ، يفهم عني ما أقول ، فجاءه برجل من عبد القيس ، يظنه على الصفة التي أرادها ابو الأسود . ولكن ابو الأسود ، لم يرضه ، فجاءه بآخر من قريش ، فرضيه أبو الأسود ، وقال له : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون مداده ، فاذا رأيتني افتح فمي بالحرف ، فانقط واحدة فوقه ، واذا رأيتني أضم فمي فانقط واحدة بين يديه ، وان رأيتني أكسره ، فاجعل النقطة من تحته ، وان اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة ، فاجعل النقطة : نقطتين .

**ويقال** ان ابا الأسود طلب الى « زياد » ان يجيئه بثلاثين رجلاً ، فاختار عشرة منهم ، ثم لم يزل يختار ، ممن اختارهم حتى انتهى به إلى اختيار رجل من عبد القيس . واذا كانت الروايتان تختلفان ، فانهما مع كل هذا تلتقيان عند نهاية واحدة ، وهي أن أبا الأسود أخذ في أمره هذا ، بمثل ما أخذ به كبار الأمة وعلماؤها ، من قبل ومن بعد ، في كل أمر ذي بال ، ولا سيما أمور الدين ، من الجد في التماس الصواب ، والتزام الحيطة في تحري الحقيقة . ويبدو ان أبا الأسود ، حين هم بعلاج هذه المشكلة ، بدأ فأحصى الحركات التي يمكن ان يتحركها الحرف ، فاذا هي ثلاث ، يزاد على كل منها غنة ، تكون بعض الأحيان في أواخر أكثر الأسماء . ونظر في الحركات التي يتحركها الفم ، ليحدث صوت كل حركة ، فاذا هي انفتاح ، وكسر ، وضم ، وفي الانفتاح اتجاه إلى أعلى ، وفي الكسر اتجاه إلى أسفل ، أما الضم فوسط بينهما . وبذلك تحددت أماكن الحركات من الحروف فلم يبق إلا اختيار صورة العلامة التي تدل على الحركة . فجعلها ابو الأسود ، اصغر ما يرسم القلم ، وهو النقطة ، ولم يشأ ان يجعل للغنة علامة متميزة الصورة ، اتقاء الاستكثار والتشعب فجعل علامتها نقطتين اذا كانت تتألف من صوتين ، أما السكون فجعل علامته ، عدم العلامة ، لأنه هو عدم الحركة .

وهكذا وفق ابو الأسود كل التوفيق ، بفضل عبقريته ، في حل مشكلتين من المشاكل الكبرى التي عرضت للامة الاسلامية ، فجر حياتها ●

فتحية محمد توفيق — القاهرة

# أخبار الكتب



❊ صدر في دمشق الجزء الأول من « معجم العلوم الطبية » الذي وضعه العلامتان الراحلان الدكتوران مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وقام بتنقيحه واتمامه الدكتور محمد هيثم الخياط .

❊ وللعلامة الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق معجم للألفاظ الطبية نشر مواده تباعاً على هيئة ملاحظات ونظرات وتعليقات على معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور « كليرفيل » ، وتألف من مجموع هذه الملاحظات معجم طبي جديد نفيس يرجى ظهوره قريباً .

❊ قامت لجنة فنية من العاملين بدار الكتب والوثائق القومية في مصر باعداد ثلاثة أجزاء من كتاب كبير عنوانه « دليل الكتاب المصري » يشتمل على قوائم وفهارس للكتب التي طبعت في مصر في العشرين سنة الأخيرة . وقد نشرت هذا الكتاب الهيئة المصرية .

❊ « المحاماة وسيادة القانون » عنوان الكتاب الكبير الذي أصدره المستشار الأستاذ عبد الحليم الجندي لدراسة حياة أربعة من كبار المشتغلين بالمحاماة هم : ابراهيم الهلباوي ومصطفى مرعي في مصر ، و « مرشال هول » في انكلترا ، و « هنري روبير » في فرنسا . والكتاب سجل مجيد للمواقف الشريفة التي وقفتها المحاماة في سبيل الدفاع عن الحق والكرامة والقيم الخلقية ، وقد طبع الكتاب في دار الاتحاد العربي للطباعة .

❊ العلامة المؤرخ الجزائري الأستاذ محمد علي دبوز أصدر الجزء الأول من كتاب كبير عنوانه « أعلام الاصلاح في الجزائر من عام ١٣٤٠ الى عام ١٣٩٥هـ » ، أهداه الى روح العلامة الجزائري الكبير محمد البشير الابراهيمي . وقد صدر الكتاب عن مطبعة البعث في قسنطينة بالجزائر .

❊ في السير والتراجم ، صدرت مجموعة من الكتب منها « الكتاب التذكاري لشهاب الدين السهروردي في الذكرى المئوية الثامنة لوفاته » وقد أشرف عليه وقدم له الدكتور ابراهيم بيومي مدكور وشارك في كتابة فصوله الدكتور سيد حسين نصر والدكتور محمد البهي والدكتور محمد علي أبوريان والدكتور حسن حنفي والدكتور عثمان يحيى والدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني والأب جورج شحاتة قنواتي والمستشرقان لويس جارديه وجرس نوجالس . ونشرت الكتاب الهيئة المصرية .

❊ ومنها كذلك « عرب معاصرون » للدكتور مجيد خدوري ، وقد نشرته الدار المتحدة ، ومنها « ابن أبي عتيق ناقد الحجاز » للدكتور عبد العزيز عتيق وقد صدر عن جامعة بيروت العربية ، و « محمد لطفي جمعه » الكاتب الصحفي الراحل من تأليف ابنه رابح لطفي جمعه ، و « أحمد لطفي السيد » للدكتور حسين فوزي النجار ، و « شانكارا أبو الفلسفة الهندية » للأستاذ الراحل فؤاد محمد شبل . والكتب الثلاثة الأخيرة من نشر الهيئة المصرية .

❊ من كتب الفنون والآثار صدرت الدراسات الآتية : « دراسات أثرية وتاريخية . طنافس مصر في العصور الوسطى » للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ونشر جمعية الآثار بالاسكندرية ، و « فنون افريقية » للأستاذ حلمي عبد الجواد السباعي وتقديم الأستاذ عبد القادر رزق ومراجعة الأستاذ أحمد أحمد يوسف ونشر الهيئة المصرية ، والجزء الثالث من « المجلة التاريخية المغربية » التي تصدر باللغات العربية والانكليزية والفرنسية ويحررها الأستاذ عبد الجليل التميمي وتطبع في تونس .

❊ الأديب المفكر اللبناني الأستاذ الياس شليطا أصدر كتاباً من كتب التسامي الروحي والأخلاقي سماه « بين الجزيرة والكهف » وكتب مقدمته الشاعر الكبير عمر أبو ريشة ونشرته مطابع عقيقي في لبنان .

❊ « بنو الأثير : الفرسان الثلاثة » ، دراسة جديدة صدرت للأستاذ محمد عبد الله الحمدان في سلسلة المكتبة الصغيرة التي تصدر في الرياض باشراف وتقديم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

❊ « رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث » عنوان دراسة كبيرة أعدها الأستاذ عبد الجبار داود البصري ونشرتها وزارة الأعلام العراقية .

❊ من الكتب التي تظهر فضل اللغة العربية على جميع اللغات الأخرى ، كتاب ضخم يقع في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير عنوانه « مغامرات لغوية » أصدره الباحث العراقي المتمكن الأستاذ عبد الحق فاضل ونشرته دار العلم للملايين . والكتاب يبحث في سلالات اللغات المختلفة ، ويرد معظمها الى أصل عربي واضح ، كما أنه يرسي أسس علم جديد في اللغة العربية يسميه « علم التأثيل والترسيس » وهو علم دراسة أصول الألفاظ ونشأتها وتطورها على مدى القرون .

❊ صدرت للدكتور حسين عطوان دراستان عنوان الأولى « شعراء الشعب في العصر العباسي » وعنوان الثانية « وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني » ، وقد نشرتهما دائرة الثقافة والفنون بالأردن .

❊ صدر للأستاذ جلال فاروق الشريف كتاب « بعض قضايا الفكر العربي المعاصر » ونشره اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، كما صدر للأستاذ محمد دياب كتاب « قضايا فكرية وثقافية » ونشرته الهيئة المصرية .

❊ حقق الدكتور محمود غرابة « كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع » للامام أبي الحسن الأشعري ونشره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

❊ أصدرت دار الفكر العربي كتابين كبيرين للعلامة الراحل الشيخ محمد أبي زهرة هما « تاريخ المذاهب الاسلامية » في جزءين ، و « الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي » وهو كذلك في جزءين .

❊ ومن الكتب الدينية الجديدة « الأخلاق والمعاملات في الاسلام » للدكتور محمد عبد المنعم الجمال ونشر دار الشعب ، و « الوحي الى الرسول محمد » للشيخ عبد اللطيف السبكي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « القضاء في الاسلام : تاريخه ونظامه » للأستاذ ابراهيم نجيب محمد عوض وتقديم فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

❊ أصدرت الجامعة التونسية الجزء العاشر من مجلتها السنوية المعنونة « حوليات الجامعة التونسية » .

❊ ديوانان جديدان صدرا ، هما : « الأغاني الغجرية » للشاعر العراقي حميد سعيد ونشر دار العودة ، و « ملحمة النور » للشاعر السوري محمد الحسناوي ونشر دار القلم بدمشق .

❊ المستشرق اليوغسلافي أحمد اسماعيلوفيتش صدرت له دراسة جديدة عنوانها « فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر » .

❊ في الأدب الروائي صدرت الكتب الآتية : « الكترا » ليوربيدس وترجمة الأستاذ كمال ممدوح حمدي ونشر مجلة الجديد ، و «ملاك الارهاب» لسان جوست وترجمة الدكتور حسين فوزي ونشر دار الهلال ، و « في البحث عن الأوراق » رواية للأستاذ محمد بن عاشور ونشر الدار التونسية ، و « صيادون في شارع ضيق » للأستاذ جبرا ابراهيم جبرا ونشر دار الآداب ●



# النجدة

## لماذا يهرع بعض الناس لتلبية الاستغاثة عند سماعها بينما يتردد غيرهم ويمتنع آخرون !؟

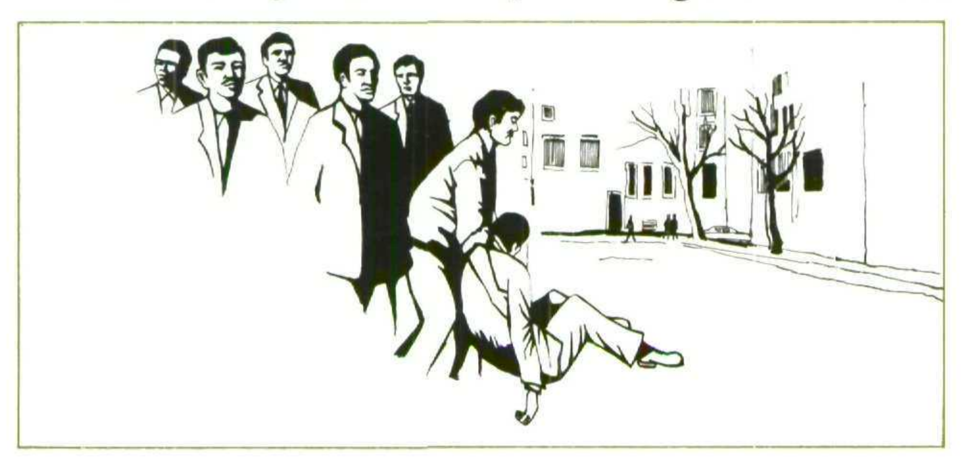
قد تنزعج عندما تقرأ أن حادثاً ما وقع على مشهد من الناس ولكن أحداً منهم لم يسرع لتلبية المستغيث ومساعدته . وقد تقول أن الأمر ربما اختلف لو كنت هناك ، ولكن بعض علماء النفس يقولون بأن ذلك ليس بالضرورة ، وقد لا يحدث أي اختلاف ، ولهم في ذلك تعليلات عدة وتفسيرات كثيرة .

قبل حوالي سنتين وقعت حادثة في قلب احدى المدن في ولايـة نيوجيرزي الأمريكية على مشهد من خمسة وعشرين موظفاً يعملون في ذلك المكان . وذكر أولئك جميعهم أنهم شاهدوا وقوع الحادثة ، وسمعوا أصوات الاستغاثة . ولما سئلوا عن سبب عدم استجابتهم لها ، أجاب معظمهم بأنهم ما كانوا يظنون أن النتيجة ستبلغ هذا الحد !

وعلق بعض الناس ، ممن لم يشهدوا الحادثة ، بأن سبب الأحجام ربما كان مرده الى عدم رغبة المشاهدين في التورط في الحادث ، ولذا فضلوا البقاء بعيداً . وقال آخرون أن السبب ربما كان خوف المشاهد من أن يتضرر هو نفسه أو يصاب بأذى . وبين هؤلاء وأولئك ظهر علماء النفس ليقولوا بأن الأمر يجب ألا يقتصر على تصرف المشاهدين ، وانما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أيضاً ، نوع الحادثة ، ومكانها ، ومظهر الضحية ، وعدد المشاهدين ، وغير ذلك من الأمور التي تحدد ، من قريب أو بعيد ، فرصة النجدة وتلبية الاستغاثة .

لقد ظل عامل « تدخل الفرد » موضع دراسة اثنين من علماء النفس منذ سنة ١٩٦٤ ، وذلك عقب وقوع حادثة في منتزه جميل في ضواحي نيويورك على مرأى من ٣٨ شخصاً لم يحاول أحد منهم أن ينجد الضحية أو حتى يتصل هاتفياً بأولي الأمر ويبلغهم الواقعة . والعالمان اللذان قاما بالدراسة هما : الدكتور جون دارلي — ويعمل في جامعة برنستون ، والدكتور بيب لاتان — ويعمل في جامعة ولاية أهايو . ويقول هذان العالمان بأن وقائع تلك الحادثة التي حصلت عام ١٩٦٤ ، قد أثارت فيهما حب التقصي ، وأضافا : « لقد وصف كثيرون ، ممن سمعوا عن الحادثة ، أولئك الذين لم يهرعوا للنجدة بأقبح الأوصاف ، ولكننا أردنا أن نلفت النظر الى فكرة أخرى ، وهي أن الناس العاديين الطيبين يقفون — في بعض الحالات — بينما هناك من يؤذى على مشهد منهم » .

وفي عام ١٩٧٠ ، أي بعد حوالي ستة أعوام من البحث والتقصي نشر هذان العالمان كتاباً خاصاً عن المشاهد الذي لا يهب للنجدة :



« The Unresponsive Bystander: Why Doesn't He Help ? » .

وقد نالا عليه جائزة تقديرية . وفي ذلك الكتاب أوضح العالمان النفسانيان أن هيئة الحالة الطارئة وما يكتنفها في حينه هي التي تقرر اغاثة الضحية وليست شخصية المشاهد . وقد اعتمد المؤلفان في تقريرهما ذلك على شيئين : أولهما ضرورة ادراك المشاهدين لخطورة الحالة قبل الشروع في المساعدة ، وثانيهما — في رأي هذين الباحثين — انه كلما كثر عدد المشاهدين قل احتمال تقديم المساعدة .

ومن التجارب التي أجراها العالمان تشبيه وقوع حادثه على مشهد من الناس ولكن دون أن يعرف أي منهم أن هناك مشاهداً غيره . وفي تجارب أخرى جيء بمجموعات من الطلاب تتكون كل منها من اثنين الى ستة ، ووضع كل منهم في حجرة خاصة لا يشاهد ولا يسمع من خلالها الا ما يراد له ، ولا يستطيع الاتصال بغيره الا بواسطة جهاز هاتفي وضع خصيصاً في الحجرة . وقيل لبعض هؤلاء الطلاب بأنهم سيشتركون في بحث ويسمح لكل منهم بالتحدث لمدة دقيقتين فقط ثم عليه أن ينصت . وقيل لفريق آخر بأن الواحد منهم سيكون أحد اثنين فقط يشتركان في البحث ، وقيل لمجموعات أخرى بأن كل واحد منهم سيكون واحداً من مجموعة تتكون من ثلاثة أشخاص أو أربعة أو خمسة أو ستة . وأعيدت التجربة مرات ومرات مع طلاب آخرين .

وكانت الأحاديث المفروض أنها تجرى بين هذه المجموعات ، مسجلة من قبل بأصوات مختلفة وكان من ضمن التسجيل صوت يصاب صاحبه ، تمثيلا ، بنوبة عصبية ، وكانت النتيجة أن ٨٥ في المائة من الطلاب الذين قيل لكل منهم أنه سيكون أحد اثنين مشتركين في البحث فقط — هو والمصاب المزعوم — أخبروا الباحثين بأنهم سمعوا الصوت في حين أنه لم يقل بسماع ذلك غير ٣١ في المائة فقط ممن قيل لكل منهم بأنه سيكون أحد أربعة يشتركون في البحث .

وفي تجارب أخرى تقابل فيها الطلاب ، موضع الاختبار ، مع المصاب المزعوم لفترة قصيرة قبل البحث ، وفي غيرها كان المصاب معروفاً لدى الطلاب ، وكانت النتيجة أن ازدادت نسبة الاخبار عن الحادث زيادة ملحوظة .

**ترى هل يعني هذا أن حظ الضحية أو الفرد المتعرض للسوء يكون ضئيلا لدى طلب النجدة اذا لم يكن معروفاً من المشاهدين أو اذا كان المشاهدون يجهلون بعضهم البعض !؟**

ليس ذلك صحيحاً بالضبط . فقد دلت الأبحاث التي أجريت حديثاً على أن الناس يكونون أسرع للنجدة في الحالات الطارئة اذا ما وقعت في أماكن مزدحمة . وقد دلل على ذلك فريق آخر من العلماء قاموا بسلسلة من التجارب في عام ١٩٦٩ في طريق فرعي بمدينة نيويورك يقطعه القطار السريع خلال سبع دقائق . وكانت التجربة تبدأ بدخول شاب يحمل عكازاً الى عربة القطار ، وما أن يتحرك القطار حتى يتظاهر الشاب بالاصابة بالاغماء ويسقط على أرض العربة وكأنه فاقد الوعي . وقد وجد الباحثون أن الركاب يسرعون لنجدته ودون تأخر في ٦٢ من ٦٥ حالة وخاصة اذا كانت هيئة المصاب لا تحتمل التأويل ، وان المساعدين كانوا غالباً من الرجال . كما تبين للباحثين أيضاً أن هذا المعدل يتدنى الى النصف اذا كانت هيئة المصاب لا تدل على السلوك القويم وأن المساعدة في هذه الحالة كانت أبطأ من الحالة الأولى ، وان المساعدين كانوا من الرجال على الأغلب كذلك . وثبت للباحثين أيضاً أن لهيئة المصاب وشكله وهندامه أثراً كبيراً في الاسراع الى نجدته .

وبعد ذلك قام الباحثون بتجارب أخرى في طريق فرعي آخر يعاونهم فريق من طلاب الجامعة مستخدمين في ذلك سائلا أحمر على اعتبار أنه دم ، يلطخ ثياب الطالب ، موضع التجربة ، أو وجهه أو يديه ، وقد تبين لهم أن الضحية الدامية ، أي المصاب الذي يسيل منه الدم ، تثير ما يشبه الفزع بين الناس ، وان أحد الركاب ، وكانت امرأة ، كادت أن تشد حبل الوقوف في الحالات الطارئة ، الخاص بالحافلة ، لولا أن سارع أحد الباحثين الى منعها من ذلك . وظهر للباحثين كذلك أن معدل المساعدة يكون بنسبة ١٣ من ٢٠ في الحالات التي يكون فيها المصاب دامياً ، في حين أن المعدل يرتفع الى ١٩ من ٢٠ عندما يكون المصاب نظيف المظهر ، كما اتضح أيضاً أن الذين هبوا للمساعدة كانوا من الرجال على الأغلب .

وفي تحقيق لاحق ، قام به باحثان آخران ، ظهر أن الناس عندما يواجهون بعضهم يكونون أسرع الى النجدة لدى وقوع حادث طارىء . وقد عزا الباحثان هذه السرعة الى رد الفعل الذي يحدث لدى مشاهدة الناس للحادث كالصياح والهرج وسرعة الحركة وما يتلو ذلك من اقتراحات لانقاذ المصاب ، الأمر الذي يولد احساساً لدى الحاضرين بأن هنـــاك حالة طارئة وتحتاج للمساعدة .

وفي بحث آخر أجراه هذان الباحثان في احدى الجامعات ، وبين طلاب لا علم لهم بالتجربة ، كان أحد العمال يتظاهر بالسقوط عن سلم ويحدث أثناء ذلك صوتاً يسمعه عدد من الطلاب دون أن يروه ، ويصيح «آه ظهري ... لا أستطيع الحركة » . وفي حالات أخرى كان العامل لا يتكلم بل يكتفى باسماعهم صوت السقوط . وقد ظهر أن الطلاب يكونون أسرع الى النجدة في الحالات الأولى بمعدل ٣ الى ١ بالنسبة للحالة الثانية التي يكتفى فيها بصوت السقوط دون كلام أو صراخ . وهذا يعني أن صراخ المصاب يكون بمثابة طلب للنجدة دون التلفظ بها ، فالصراخ غالباً ما يكون للفت النظر أو رد فعل لخوف أو لوقوع أذى .

**ولكن .. ماذا ترى سيحدث لو كان هناك خطر يتهدد المشاهد ، هل تراه سيظل مقدماً على النجدة أم يتردد !؟**

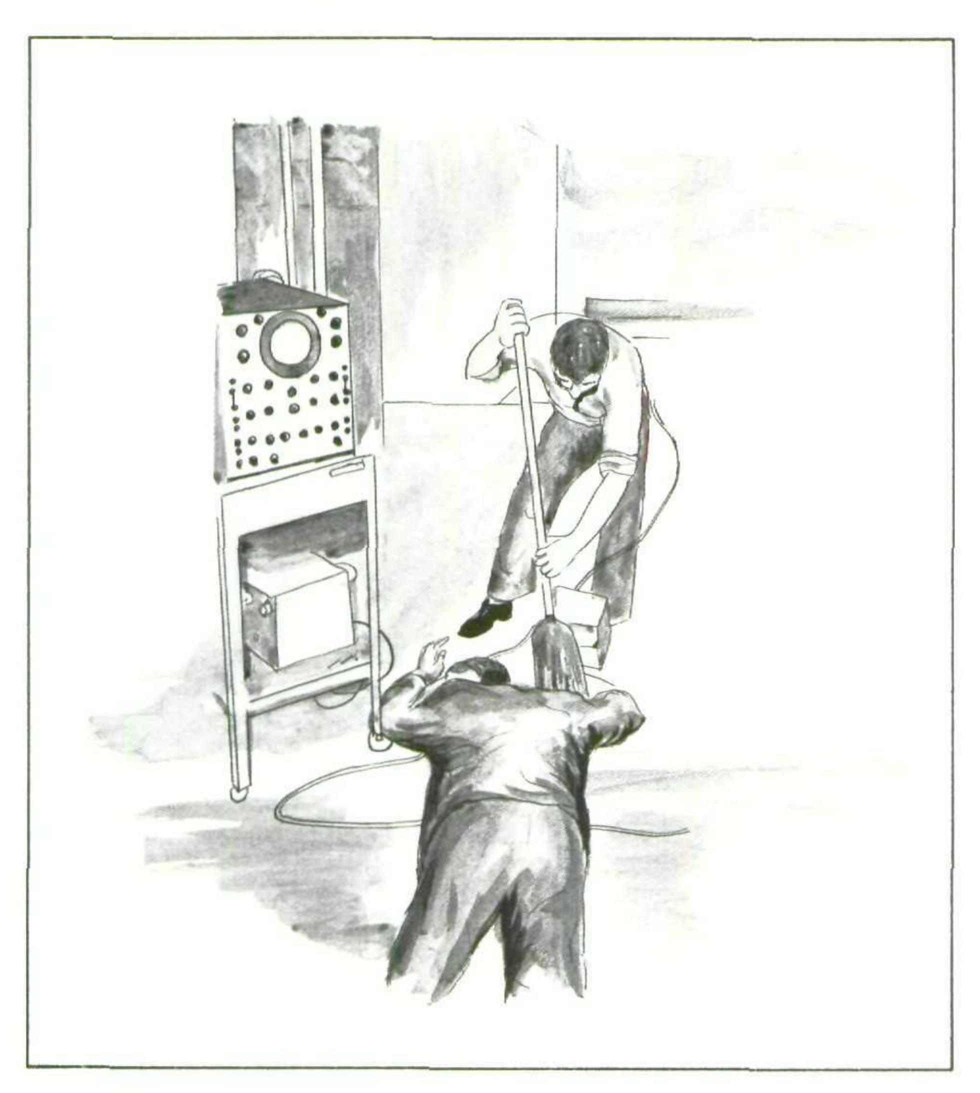
ولكي تكون الاجابة صادقة على هـذا التساؤل قام الطبيب النفساني « راسل كلارك » من

جامعة ولاية فلوريدا بتجربة أجراها أثناء مرور الطلاب في مجموعات ، من اثنين ، عبر أحد الممرات ، بحيث يشاهدان ومضة من ضوء يعقبها صوت طنين . وحالا ، وفي الوقت ذاته ، يسقط عامل فني بلباس المختصين باصلاح الكهرباء أمام لوحة كتب عليها : « خطر . . . تيار كهربائي عال » .

وقد ظهر من هذه التجربة ، التي أجريت عدة مرات وفي أماكن مختلفة من المباني الجامعية ، ان معظم الطلاب — موضع الاختبار — قد أسرعوا لنجدة المصاب . وان بعضهم قد رفسه برجله ليبعده عما كان يبدو شريطا كهربائياً ، ومنهم من استعمل مقشة أو قميصاً ليبعد المصاب عن الشريط .

في صيف عام ١٩٧٢ قام العالم النفساني « ثوماس مورايرتي » من جامعة نيويورك ، يعاونه عـدد من الطـلاب والطالبات ، بسلسلة من السـرقات الوهمية على شاطىء مزدحم بالناس خـارج مدينة نيويورك . وكانت النتيجة أن ١٩ من ٢٠ من الرجال والنساء ، في مختلف الأعمار ، الذي طلب اليهم أن يحرسوا أغراض شخص غريب عنهم ، تركها على مرأى منهم أثناء غيابه لقضاء حاجة له ، قد استجابوا لطلبه وحاولوا القبض عـلى السارق المزعوم — وكان دائماً أحد طلاب الجامعة العاملين مع الباحث — وتعقبوه وهو يهرب حاملا معه جهاز الراديو أو المسجل الذي طلب منهم صاحبه حراسته أثناء غيابه . كما ظهر كذلك أن أربعة فقط من عشرين ، ممن لم يطلب اليهم حراسة أغراض الآخرين ، قد تعقبوا اللص الوهمي .

وبعد مدة قام الطبيب النفساني ، الآنف الذكر ، تشاركه مجموعته من الضحايا واللصوص الوهميين ، باجراء هذا النوع من التجارب في مطعمين كبيرين في مدينة نيويورك حيث يقوم الزبائن بخدمة أنفسهم « كافتيريا » فكانت



تقوم فتاة ، من المجموعة ، بوضع حقيبة على طاولة غير مشغولة وتطلب الى الزبون الجالس قربها حراستها بينما هي تقف في الصف بانتظار دورها . وأثناء غيابها كان هناك فتى ، من زملاء الفتاة أيضاً ، يأتي فيتناول الحقيبة ويغادر القاعة . وكانت نتيجة هذه التجربة أن الأشخاص الثمانية ، وكانوا أربعة رجال وأربع نساء ، الذين طلب اليهم حراسة الحقيبة ، قد حاولوا اعتراض اللص الوهمي . غير أنه في الحالات التي لم يطلب فيها من أحد حراسة الحقيبة لم يحاول اعتراض اللص غير واحد فقط من ثمانية .

أما في الحالات التي يكون فيها الشخص المصاب أو « الضحية » غير قادر على الصراخ أو طلب النجدة فان أفضل وسيلة له للحصول على المساعدة تكون باعتراض سبيل الآخرين من الواقفين على مقربة منه أو المارين به ، ويقول بهذه النظرية الباحث الاجتماعـي « ايرفن ستوب » من جامعـة مستشوستس الأمريكية بعد أن قام بتجربة عملية بالتعاون مع عدد من طلاب الجامعة . فكان يطلب من أحد المارة ، وهو عادة من العاملين معه ، أن يسقط على الرصيف قابضاً على ركبته أو ممسكاً بخاصرته أو ضاغطاً على صدره . وقد ظهر من التجربة أن حوالي ٥٠ في المائة من المارة أو عابري الطريق يهبون لمساعدة المصاب اذا كان وقوعه أمامهم مباشرة بحيث يعترض خطوهم ، أما اذا كان سقوطه يتم بمحاذاة الرصيف

بحيث يرونه دون أن يعترضهم فان حوالي ٧٥ في المائة منهم كانوا غالباً ما يتابعون سيرهم بعد أن يلقوا نظرة عابرة عليه معتقدين ، في أنفسهم ، أنه لا يحتاج الى مساعدة أو عون . كما ظهر أن أكثر الناس ترددا في تقديم العون ، في مثل هذه الحالات ، هن النساء ممن تزيد أعمارهن على ٥٥ سنة .

وقد أيد « ستوب » في قوله عن تردد النساء في المساعدة باحثون آخرون . وجاء في سبب أحجام النساء عن ذلك مع أنهن ، في العادة ، عطوفات رحيمات بالمرضى والمصابين ، انه يعود الى كون النساء ضعيفات جسدياً ، وكونهن أقل عرضة للوم والتقريع من الرجال في حالة ترددهن في المساعدة .

وفي تحقيق آخر للتأكد من صحة القول السالف اندست امرأة باحثة بين النساء اللواتي شاهدن حادثة معينة ، فسمعت احداهن تقول « ان هذا من عمل الرجال ، وكان عليهم أن يساعدوه » . وقالت أخرى « كان بودي أن أساعد لو أن لدي القدرة الجسدية الكافية » . وغير ذلك من الأقوال أو الأعذار المشابهة .

إن الاحتمال القوي لنجـدة المستغيث أو المحتاج لا يتوقف فقط على جنس المار أو المشاهد ، رجـلا كان أو امرأة ، ولكنـه أيضـاً يتوقف على ما اذا كان المشاهد أو عابر الطريق قد رأى غيره يقدم المساعدة ، كما أن الأمر يتوقف كذلك على مقدار الوقت الذي لديه . وقد أكد هذا القول التجارب التي أجراها الباحثان « جيمس بريان » و « ماري آن تست » ، وكلاهما من جامعة نورث وستيرن في ولاية الينوي ، بالتعاون مع سيدة تتعطل سيارتها في الطريق فيهب لنجدتها رجل يأخذ في ابدال الاطار المعطوب بينما وقفت هي الى جانبه ، وعلى بعد حوالي كيلومتر منها ، تقف سيدة أخرى وقد تعطلت سيارتها كذلك . كما أجروا تجارب بدون استخدام السيارة الأولى . وقد ظهر أن عدد الذين هرعوا لمساعدة السيدة الثانية كان أكثر بعد مشاهدة الرجل وهو يبدل الاطار المعطوب في سيارة السيدة الأولى ، وكأن ذلك كان بمثابة حافز مشجع لهم على تقديم العون والمساعدة للآخرين .

أما من حيث الوقت فقد ثبت أنه يلعب دوراً مهماً لدى تقديم العون والنجدة . وانه قد يجعل البعض يتردد في تلبية الاستغاثة اذا لم يكن لديه الوقت الكافي حتى ولو كان هذا الفرد ممن عرفوا بحب المساعدة وعدم التواني عن النجدة . وقد قام الباحثان « جون دارلي » و « دانيال باتسون » وكلاهما من جامعـة برنستون ، بتجربة للتحقق من ذلك . فأعدا مشروع ندوة في احدى بنايات الجامعة ثم جاء أحدهما الى البناية التي يجلس أو يجتمع فيها المدرسون عادة ، وقال لعدد منهم بأن عليهم حضور تلك الندوة لتسجيل حديث فيها عن أعمال الخير أو السلوك الحسن أو عن وجود فرص جديدة للعمل في المستقبل — كل حسب الموضوع المناسب لاختصاصه . وقال للبعض منهم بأن الوقت ضيق فعليه بالسرعة وقال للبعض الآخر بأن الوقت كاف فقط ، في حين قال لفريق ثالث بأن الوقت لا يزال مبكراً .

وقد عهد الباحثان لأحد العمال بالتظاهر بالسقوط والسعال لدى عبور المدرسين في الممر الموصل بين البنايتين . وكانت النتيجة أن عشرة في المائة من الذين قيل لهم بأن الوقت لديهم ضيق قد أسعفوا المصاب الوهمي مع العلم بأن الموضوع الذي كانوا سيتحدثون فيه يدور حول أعمال الخير والسلوك الحسن ، في حين ازدادت هذه النسبة الى ٤٥ في المائة بين الذين قيل لهم بأن الوقت لديهم كاف ، أما النسبة بين الذين قيل لهم بأن الوقت لا يزال مبكراً فقد بلغت ٦٣ في المائة .

**ترى هل هناك صفات خاصة في شخصية الفرد تدل على حبه للمساعدة ؟**

معظم الباحثين الاجتماعيين يشكون في ذلك ، غير أن البعض منهم يقول بوجود بعض الدلائل . فقد تبين لهم من خلال تجارب أجروها على عدد من الناس بأن أكثر الأفراد اندفاعاً للمساعدة هم أولئك الذين لديهم رغبة في تحمل المسؤولية . كما ظهر أن معظم الذين قاموا بمحاولات جريئة ، لانقاذ حياة آخرين ، هم من المغامرين ومنهم من كانت رياضته المفضلة القفز بالمظلات أو صعود الجبال .

ومع هذا تظل شخصية الفرد المحب للنجدة غامضة ، ومعظم الشواهد التي جمعت خلال السنوات العشر الأخيرة تدل على أن الأحوال المحيطة بالحادث الطارىء هي التي تشجع على النجدة وليست شخصيات العابرين في الطريق ، وانه من الأضمن ، للحصول على المساعدة ، أن يشرح الشخص المتورط في الحادث حالته ، اذا أمكنه ذلك ، للمشاهدين ، ويطلب العون من رجل منهم بالذات ، فذلك أدعى للحصول على العون . فمواجهة الرجل بطلب المساعدة منه بصورة مباشرة تثير فيه الحماس والنخوة .

أما اذا لم يستطع المصاب تدبر ذلك الأمر ، أي شرح حالته للمارين به وطلب النجدة منهم ، فعليه ألا ييأس فلا بد من شخص يأتي لنجدته . فالناس اليوم أسرع تلبية للنجدة من ذي قبل وخاصة بين الذين سمعوا أو قرأوا عن تردد البعض في تقديم العون . وفي دراسة أجراها أحد الباحثين قال له الشخص ، موضع الدراسة ، انه هب للمساعدة لأنه سمع عن اناس ترددوا في حين كان الواجب يدعوهم الى ذلك . وقال باحث آخر أن كثيراً من الذين قابلهم وسألهم عن الحافز الذي دعاهم لتلبية الاستغاثة قد أجابوا على سؤاله ، عقب تجربة وهمية أجراها الباحث على الشاطىء بالتعاون مع زملاء له ، بأنهم قرأوا عن اناس لم يهبوا للنجدة في الحالات الطارئة وانهم لا يودون أن يكونوا مثلهم ●

اعداد : ابراهيم محمد الشنطي — هيئة التحرير

من عجائب الكون

# صحراوات وواحات

بقلم: الأستاذ خليل هنداوي



**ليست** الصحراء بمعناها المألوف الا تلك الأرض الفضاء التي انبسطت أطرافها الى مالا نهاية .

وقد تفنن العرب في تسمية الصحراء ، فسموها بالصحراء لاتساع مداها ، وفقد الماء فيها ، وأطلقوا عليها اسم الصحصح والصفصف اذا كانت خالية ، واذا كانت مع استوائها واتساعها بعيدة الأكناف والأطراف ، فهي السهب. واذا خلت من الماء فهي الفلاة والمهمه . واذا كانت لا يهتدى فيها لطريق فهي البهماء ، وان كانت تضل سا لكها فهي المجهل . واذا كانت تبيد سالكها فهي البيداء ، والمفازة أملا في أن يفوز عابرها بالنجاة ، واذا لم يكن فيها شيء فهي البلقع .

وفي عالمنا الأرضي الرحيب ، المغمور ثلاثة أرباعه بالماء ، بقاع مترامية يعطل فيها الجفاف كل أسباب الحياة ، يقطع المسافر فيها مئات الأميال ، دون أن يلقى انساناً يصوت أو ذئباً يعوي ، على حد قول الشاعر :

**عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى**
**وصوت انســان ، فكــدت أطــير**

ولا تقع عيناه على أثر مخضوضر ، يغريه لمعان السراب بالماء الكاذب الذي طالما أنذر تابعه بالهلاك ظمأ ، اذا لم يكن متزوداً بالماء .

على أن الذين ألفوا أن يعيشوا في الصحراء ، يشعرون بالوحشة اليها اذا ابتعدوا عنها ، ويحنون الى تلك الحياة القاسية فيها .

والمشاهد غير المتساوية التي يتأملون فيها . وخداع النور على الرمال والصخور ، ومواكب السراب التي تتراقص في الهواء الساخن ، تثير في عيونهم فتنة وجمالا .

والسهوب الصحراوية التي تشغل ثلث اليابسة ، على الرغم من انعدام الماء فيها ، يندر منها مالا تمطره السماء أحياناً .

ومن العجيب أن تقبل الرياح عليها مشبعة بالرطوبة والماء ، فاذا بها تجف فجأة ، في المواطن اليابسة ، حيث يمتص الجفاف منها كل رطوبة ، وهكذا يغيض الماء من سطح الصحراء ، وتصبح أسباب الحياة فيها أشق من أن تأذن للحياة بالظهور والبقاء .

ومع هذا ، لا يمكننا القول أن الصحراء خالية من كل مظهر من مظاهر الحياة ، فان في أغوار الصحراء ، قد تقع العين على أسراب من الظباء ، وجماعات من الزواحف والحشرات ،

مما اكتسب مناعة مناخية ، تسمح له بالحياة ، على الرغم من الحرارة والجفاف ، وعلى منابت لأعشاب برية نادرة لا تستسلم الى الفناء ، وتتآلف مع العطش .

أما الينابيع فما أندرها في الصحراء . وان فيها لرشحات ضئيلة ، يبدو وجودها عجيباً ، بحيث يظنها رائيها ظاهرة نادرة ، وهذا « نهر النيل » الذي يجتاز صحراء النوبة اذا أتيح له أن يبلغ البحر في منتهى رحلته الطويلة ، فان معظم مياه الصحراء لا تملك القدرة على بلوغ البحر ، وانما تتساقط في جوف الأرض ، حيث تضيع ، إما بعامل التبخر أو التسرب .

والريح في الصحراء ليست ممثلا صامتاً ، جامداً ، وانما هي ممثل يقود فرقة ممثلين ، تتبدل وجوه الحياة على ايقاعات غضبها وهدوئها ، فاذا كانت ساكنة رفعت ذرات التراب ، وجرت حبات الرمل على بساط الأرض ، واذا كانت عاصفة ساقت التراب على علوّ شاهق ، وشالت الرمال كسحب دكناء ، تسد منافذ الفضاء .

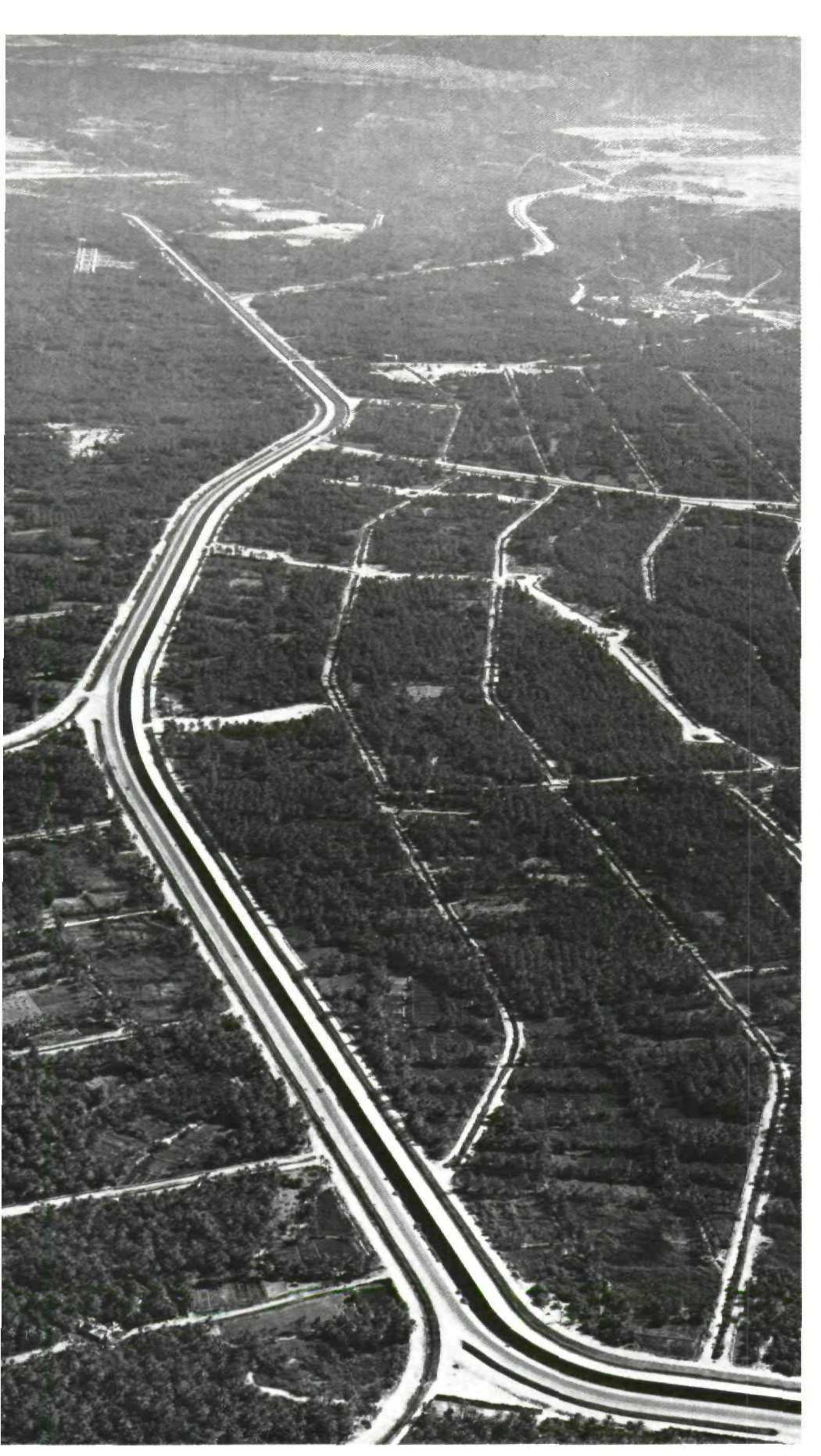
واذ ذاك يبدأ عمل الرسام المتألق ، فيستخرج من هذه المشاهد المشوشة أشكالا فنية ، ذات انسجام هندسي عجيب ، فمن أشكال هلالية ، الى خطوط ملتوية ، الى رؤوس محددة ، الى أهرامات ناتئة ذات تعاريج متنوعة .

ومخطىء من ظن أن رسم الأشكال المختلفة التي تجيده الطبيعة في نقر الجبال والصخور ، وتحسنه شكلا ولوناً في عالم السحب ، لا تحسنه أيضاً في الصحراء .

والعرب تفننوا في وصف هذه الأشكال الرملية المتنوعة ، فسموا « الحبل » ما استدق من من الرمال ، واللبب ما انحدر منه ، والحقف ما اعوج منه ، والدعص ما استدار منه ، والعقد ما تعقد منه ، والسقط ما جعل ينقطع ، ويتصل به ، والكثيب والنقا ما احدودب منه .

وكلما اقتربت الصحراء من الجبال تجدّد شبابها ، وهشت للحياة ، حيث يعلّها المطر ، ويتناقص وهج الحرارة فيها ، فتبدو كأنها رياض غناء بالرغم من ضيق اطارها الأخضر .

والسواقي التي تنساب اليها من سفوح الجبال تبث الحياة على حفافيها ، كما نرى في الواحات التي هي بحق رياض الصحراء . وقد يكون الماء حبيساً تحت جوف الأرض ، فتشق الآبار الارتوازية الطريق فيسيح على وجه الأرض ،



منظر جوي لواحة الاحساء حيث البساتين والحقول الخضراء .

وتنبسط بفضله ، في الصحراء الجوفاء ، واحات ذات خصب ونماء .

على أن من هذه الصحاري ما كان في عصر من العصور السحيقة ، أرضاً خصيبة لا تزال ذكراها حية في مخيلة سكانها .

ففي اقليم « تشاد » على مدى خمسمائة ميل من شاطئها الشرقي الحالي ، تشاهد العين آثار تجويف بحري جف ماؤه ، ممهّد بسرير من الصخور الرملية ، بينها فقرات وعظام أسماك كانت تحيا في أعماقه ، وخطاطيف استخدمها الصيّادون البحريون في صيدها ، وعلى الجانب الآخر آثار قناصين كانوا يطاردون الحيوانات التي تحيا في المفازات ، من فيلة وظباء وزرافات ، قد تركوا آثارهم وأشياءهم وآلات صيدهم بين الصخور ، حيث كانوا يسكنون .

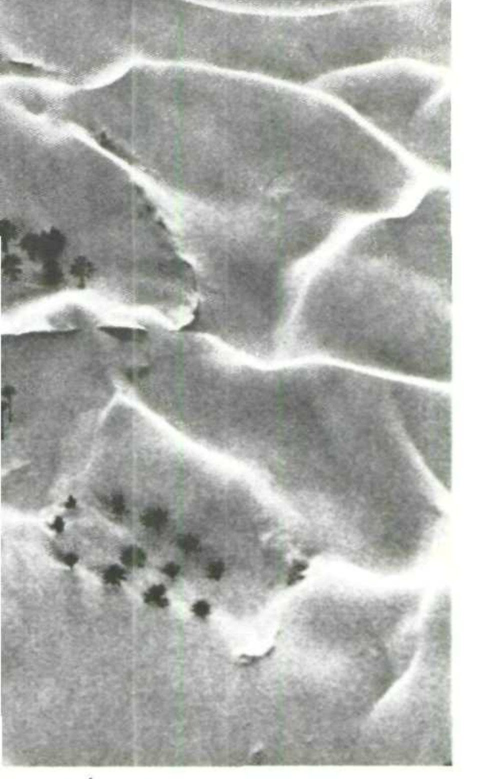
وهذه المشاهد تثبت أن الصحراء كانت ، في عصر الحجر المصقول ، معمورة بمواقد النار ، آهلة بالحيوانات الأليفة ، لا يخلو بعض أكنافها من الزرع والنبات .

وفي أرجاء العالم كله ، كان السكان منذ بدء التاريخ يستخدمون وسائلهم التي ابتدعوها لاستنباط الماء من جوف الأرض . والوسيلة الأكثر براعة ومهارة منها هي انشاء سراديب تسمح بجر المياه من مكان الى آخر للسقيا . ولا تزال هذه الطريقة البدائية مأخوذاً بها ، من بلاد فارس حتى المغرب العربي ، حيث جعلت من الأرض القفرة واحات خصيبة .

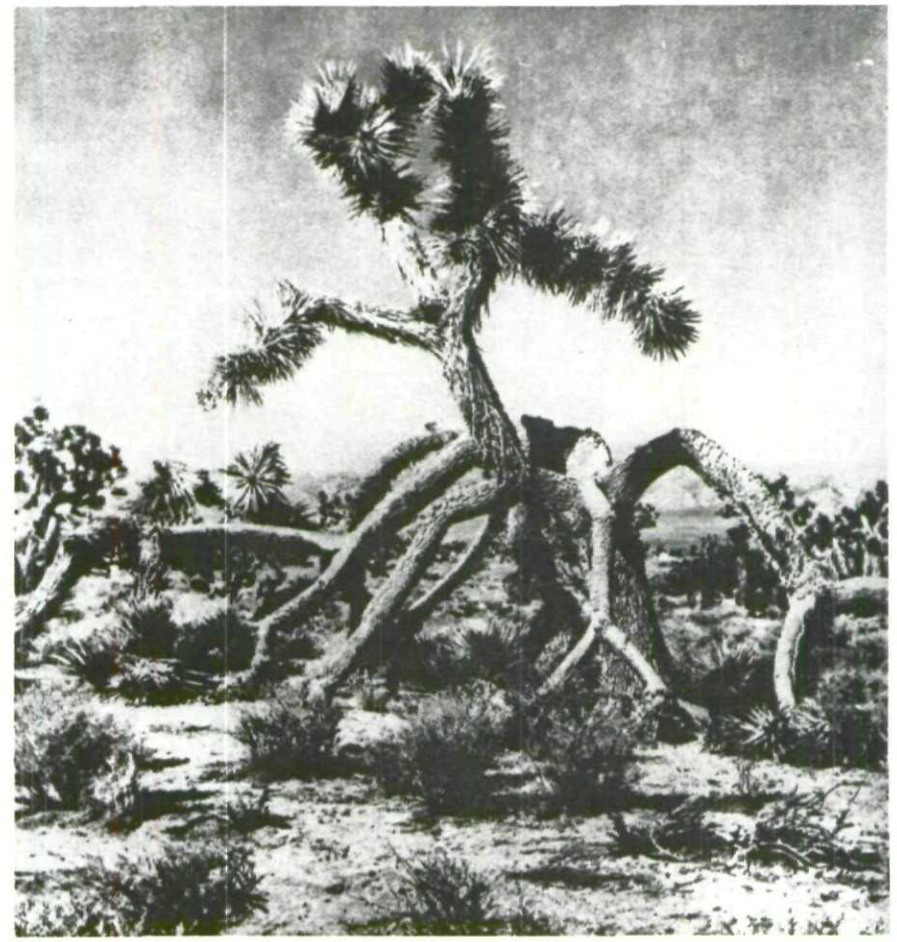
ومن أجل الخروج من أسر الصحراء ، كان على سكانها أن يجدوا وسيلة للتنقل منها واليها . ولم تتحقق هذه الوسيلة الا بواسطة قوافل الجمال التي عدها العرب بحق « سفن الصحراء »

وبفضل هذه السفن لم تبق الصحراء أرضاً مغمورة مهملة ، وانما تناثرت في أطرافها مجتمعات راحت تعيش فيها متضامنة متعاونة .

وحضارة هذه الصحراء تعتمد على الخدمات التي تؤديها الجمال والرجال ، فالجمال تحمل الأثقال ، وتجوز المفازات ، والرجال يجذبون الماء من الآبار ، لسقي منابت النخيل ، وكلما



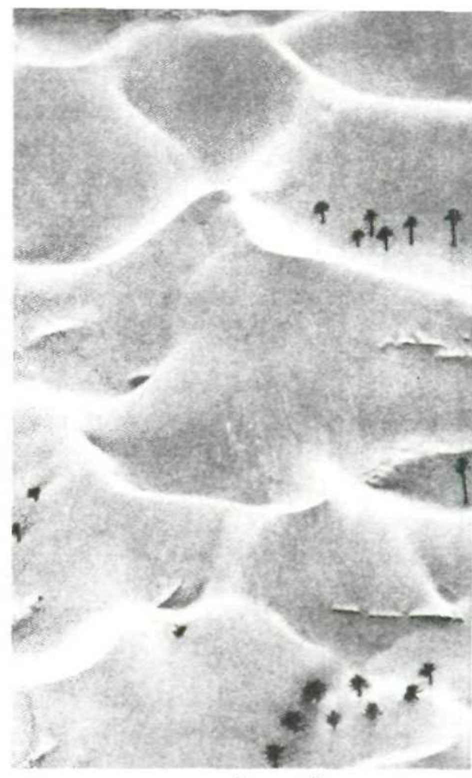
هذه الطعوس والكثبان التي تمتد في أغوار الصح



الصبار من النباتات التي تأنس بالصحراء والتي تعيش على قطرات ماء تجود بها السماء .



جانب من صحراء سورية التي هي أعمر الصحارى بالسكان بحكم موقعها الجغرافي . ويبدو في أقصى الصورة قلعة الأمير فخر الدين المعني الأثرية .



العرب في وصف أشكالها وأنماطها .

طفا الماء في مكان ، عمر ما حوله بالانسان .

وبعد هذا كله ، من كان يظن أن ينابيع الحياة ، ستتفجر يوماً من الصحراء الموات ؟ فهذه الصحراء العربية التي كانت تكلّ فيها الرياح تعباً ، حين تمرّ بها ، وتتشقق أرضها من وهج الجفاف ، وتحن رمالها اللاهثة عبثاً الى قطرة ماء تنقع غليلها ، قد انبثقت من جوفها مياه سوداء هي النفط ، أسهمت في بناء الحضارة الجديدة .

وتلك الصحراء الكبرى ، في افريقية ، التي كانت تجوز أطرافها بعض القبائل العربية على خوف ، تكشفت اليوم عن كنوز دفينة ، أين منها الكنوز الظاهرة ؟

ولكن الصحارى ، مع وفرة هذه الثروات ، لا تزال تعاني نقص الماء العذب الذي يأذن وحده بالعمران ، ولكن أصحاب هذه الثروات راحوا يجلبون الماء بالسيارات التي يدفعها النفط ، كما راحوا يستقطرون الماء العذب من البحر الأجاج .

ولعل أجمل الواحات التي تعانق الصحراء وقد عدّها الجغرافيون أحد متنزهات الدنيا ــ غوطة دمشق الواسعة المترامية الأطراف والتي يرويها نهر بردى الذي ترفده عيون ثرة ، تتفجر من قلب الصخور الجرداء .

من أعماق الصحراء تفجرت الثروة النفطية التي باتت اليوم عصب التقدم وشريان الحضارة .

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

ومنذ الوف السنين سخر الانسان هذه المياه العجيبة لخدمة الانسان . وغوطة دمشق موئل حدائق ومغرس عرائش تمتد على طول عشرين ميلا ، تغذي اناساً التفوا حولها بأمان ، والتفت حولهم بحنان .

انها نتاج جهود أجيال متعددة ، وثمرة مئات من العصور . وهي صورة مصغرة ترمز الى حضارة كبرى ، لموقعها بين حوض البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي ، والبحر الأحمر ، على الطريق التجاري الممدود بين الشرق الأوسط وأوروبا . ومدينة « تدمر » القابعة في وسط الصحراء ، الحافلة بالآثار العمرانية والفنية أكبر شاهد على أهمية موقعها .

والانسان اليوم أصبح سيد الصحراء قد خطها سبلا ، وشقها آبارا وعيوناً ، وشيد فيها مساكن ، حتى باتت تغص بها قوافل السيارات الذاهبة فيها من وجه الى وجه ، شأن البحار التي تغص بها البواخر الجارية فيها من مرفأ الى مرفأ .

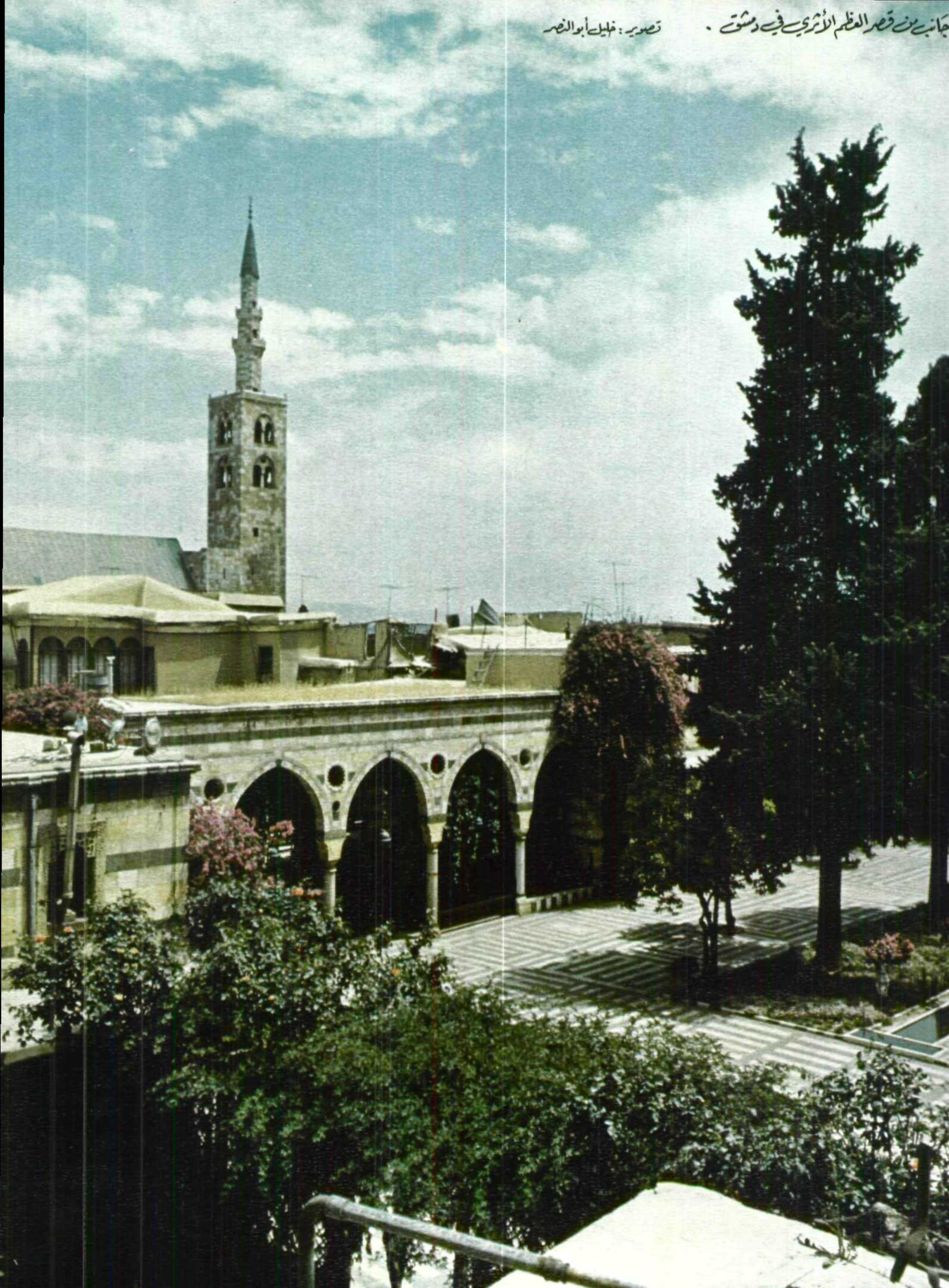
فيا للصحراء الهامدة القاحلة التي لم تكن الا هيكلا عظمياً مجرّداً من الحياة ، ومناقع ماء آسن راكد في قرارة ميتة ، كيف تغيرت اليوم حالها وأصبحت مصدراً لثروة طبيعية معطاء ●

خليل الهنداوي — حلب



احدى قنوات الري الرئيسية التي شملها مشروع الري والصرف في واحة الاحساء كبرى واحات الجزيرة العربية.

راجع مقال «صحراوات وواحات»



جانب من قصر العظم الأثري في دمشق .   تصوير : خليل أبو النصر